هــوس

احميدة لعياشي

هــوس

رواية

منشورات الشهاب

صدر للمؤلف :

ذاكرة الجنون و الانتحار، رواية.- لافوميك، 1984.
الإسلاميون بين السلطة و الرصاص.- دار الحكمة، 1991.
متاهات، ليل الفتنة. منشورات البرزخ، 2001.

© منشورات الشهاب، 2007.
10، نهج ابراهيم غرفة، باب الواد، الجزائر.
www.chihab.com

ردمك : 978-9961-63-703-6
الإيداع القانوني : 2986/2006

إهداء..

إلى صادق عيسات

في مرقده العميق..

اع

.1

صخب مدنس مرتطم متلاطم هذا الصخب الرخو في الرأس في القلب في عيون ساعتي الميتة المسكون بانتحارات شرخة، ضاجة وهادرة في ارتطامه وتلاطمه لا يشبه هذا الصخب غيرها، أي نعم غير مسات جنون طوفانها المسجى في صناديق حكايات مفكهة، معسجدة، مؤسطرة استغرق نقشها على لوح شبابيك الزمن الماكدري حيوات تلو حيوات الليالي سلخا والأنهار سلخا والأيام سلخا والفصول سلخا والسنين سلخا والقرون سلخا من جلد وصوف اعمارهم أعمار الأجداد الذين ما ضلُّوا وما خدعوها وإن راوغ ماكدرة بعض الأبناء والأحفاد وسقطوا صرعى تحت اللعن، اللعن، صرعى ملعونين، النبذ، النبذ، صرعى منبوذين تحت الغضب، الغضب، غضب عاصر، جارف، مدمدم تم ذكره وغدا أو بعد غد قد يكتشف ذكره فيأتي عاصرا كما تم ذكره وجارفا كما.. ومدمدما تم ذكره، يأتي

صارخا في ثأره وقاتما في حقده وهادرا في نشيده مرتطما، متلاطما في صخبه كهذا الصخب الرخو المترنح في رقصه، في رأسي في قلبي في عيون زمن ساعتي الميتة المهداة إليّ بمناسبة نجاحي المسكون أي زمن ساعتي النائمة في جيبي دونما حراك مدة خمس سنوات بانتحارات شرخة، ضاجة وهادرة وليس بحال من الأحوال كذاك الصخب الطفولي وإن تم تخييط اللفظين صخب وصخب بخيط من الحرير السمرقندي وربما كان الحرير السمرقندي شفافا وناعما وأما الاختلاف والتباين بينان كما ضلع قمر عاتب على ليل ماكدرة الثقيل.. وهذا الصخب الرخو متلاطم، مرتطم في ترنحه وذاك الصخب الطفولي غناء مورق في تطاير شظاياه على امتدادات فضاءات الحلم المتشرد، المتسكع في دهاليز أروقة رقداتي اليقظة ويقظاتي الراقدة في طينها وطينها كنا نجلبه ونأتي به في القدر حفاة، شبه عراة، جماعات، جماعات من بحيرة سيدي محمد بن علي بينما ناسها العجزة والوقورون يتابعون بألحاظهم المشهد المتكرر كل صباح بمتعة خفية وسرور صوفي فيدعون الله أن يراكم أجورنا ويزيد من حسناتنا ويعلي في تلك الدار منازلنا ويخلدنا نحن الملائكة الجنة، الجنة ونسوتها..

ماكدرة نسوتها الموشمات يرهبننا ويسرقن طيننا وطاق على من طاق يتخللها سيل من الشتائم والسباب وقول

العيب والتراشق بالكلام القبيح والاستعراض الصارخ للأعضاء الجنسية، نحن والصغير يدلل تفو.. تفو.. تفو وتفو يا الـ.. وتفو يا الـ... آه الطين.. الطين.. الطين آه.. الحلم، الوشم في الطين.. العشق. الخبز، السكر في الطين وفي الطين الدم والحكاية كل الحكاية والغضب.. نكوّر الطين ونتراشق بماء اللاك ونحن عرايا ونستلقي على ظهورنا وبطوننا ونحن نتراكض شبه عرايا على التراب الطوبي المائل نحو احمرار بض كالشفق، نأكل العنب الحامض، نسرقه من الدوالي الكثيفة ويتفتق صوت قدور ابن عمي كالشرارة (كاخ.. كاخ، العساس) نطير كسرب من الحجل المذعور الهائج، مقلاع العساس يتفرقع في السماء، حجارة من سجيل تملأ السماء، يتفرقع المقلاع كالمارد يتفرقع، نغرق في الضحك.. نلهث.. نمنح الريح لأرجلنا، نطير في السماء.. كم السماء عالية.. ندخل البلدة، تسقط الشمس في مغارة مجهولة.. ماكدرة تجلس القرفصاء، تطل من وراء فتحات الأبواب الخشبية، تسألنا دفعة واحدة. أين كنتم؟ أين كنتم؟ كنا في لاك الولي الصالح محمد سيدي بن علي، الأمهات في الانتظار.. أووف.. أووف، الآباء ينتظرون، ينتظرون أووف!! ماع، ماع.. ماع.. السارح كابريرو، ذو العينين الخضراوين، والشعر الأصفر الأشعث وذو البشرة الحمراء خلف ماعزه الذي يملأ ماكدرة ثغاء

وروائح مثيرة.. الأضواء تنهال شاحبة، أما الأعمدة فتقف صامتة كأنها الأشباح..

عندما دخلت إلى المنزل وجدت قدور ابن عمي كالح الوجه.. سألت ما به قدور، ما به قدور؟ يبيت عندنا، عندهم نار نائمة، مولولة وجدت زوجة عمي عندنا.. ولأن زوجة عمي كانت تنوح وتولول في بيتنا لم يجلدني أبي.. وفرحت فرحا شديدا، قلت في نفسي احشيناه، زوجة عمي عندنا يضربني أبي عيب.. قال لن تذهب إلى اللاك وأنا ذهبت. سألت أخي قدوش أبي هنا؟ عمتي هنا قال، وعمتي تبكي وتنوح وتولول وين كنت يا الجن وين كنت عندك الزهر بوك راه لاهي عندك الزهر. نظرت إليها شعرها منفوش كغولة.

- واش ربحت من هذا الرجل غير الهم والميزيرية.

- كبري خاطرك يامرت خوي، ربي كبير، وقذفني بنظرة شهباء.

- بعد هذه العشرة يشك فيّ يلعن بوي الكلب.

خلعت حذائي المهترئ وسروالي وقميصي ثم وضعتني تحت السبّالة وكلبتنا لويزة ترقص جذلانة حولي، محركة ذيلها القصير وتنبح والأصوات المنسابة من البيت الكبير ترتطم وتتلاطم وخرير الشلال المنحدر من عل ونباح لويزة المرح.

- وين كنت يا وجه الخزا

- كنت في دارك خوك، واش بيك؟

- قلت وين كنت؟

- راني انقول كنت في دار خوك، واش بيك

- ياك قلت ما تعاوديش تخرجي وراء ظهري

- ادفني خير..

- اغلقي يا وحد الكلبة.

وباغتها بلكمة على الوجه أدمتها وأفقدتها وعيها، بكى قدور مهلوعا فصفعه "أغلق فمك يا واحد المذلول".. وبصقه على الوجه "تكلم أمك في غيابي وين راهي تروح"، وقدور يبكي ولا يجيب، ويجرها من شعرها إلى الحوش والجارات يخرجن كالفأرات من جحورهن ويتلذذن بمتابعة المشهد، متهامسات فوق السطوح :

- ماحقوش.. يامنة بنت الرجال والأصل يشك فيها هذا السكير؟

- تستاهل، حتى هي طلع شانها واستخلبت.

- بعد هذه العشرة يشك فيها؟ حرام.

- ولدها قدور ضرب بوه بحجرة للراس وهرب لدار عمه.

– مسكينة يامنة ما عندها زهر.

يامنة، يامنة زوجة عمي في المستشفى. قالت الطلاق وزوجها البشير، لا، لا، لا. في المستشفى ولد أم بنت؟ لا، لا، لا. بكت يامنة وقالت العائلة (ألعني الشيطان يا يامنة. قالت الله يلعنه ويخزيه لكن، لا، لا، لا.. الشيطان ألعنيه يا يامنه الله يلعن الشيطان، العنيه يا يامنة ضحك عليه الشيطان، ألعنيه يا يامنة بشير، قال الشيطان ضحك علي، عليه يا يامنة وفي المستشفى مات الوليد، وبكينا ولولا الخجل، لولا العادة كدت لا أبكي وعادت يامنة، وقدور عاد، وقال بشير السماح والنسيان، لكن من، من ينسى، ولفح شيخ الجامع ظهري وقال كيف تنسى فكررت وأنا أبكي "يس،يس،يس : وتركت الجامع ونسيت سورة يس، السماح والنسيان قال البشير لزوجته يامنة لكن من، من هو القادر على النسيان، من ينسى ؟ ماكدرة هل تنسى ؟ بن عليوة الذي داهمه الجنون هل ينسى ؟ وأنا زانة كيف أنسى، ديدوح زانة جن وانتحر فهل أجن وانتحر. إذا ما استسلمت لحبي، لحبي، هل أجن وانتحر، هل ؟ زانة تزرع الجنون فينا واحدا واحدا وتقتل كل من أحبوها، وكل من أحب زانة يجن وينتحر ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ ...

عودة إلى السطر..

من أين يأتي هذا الصخب الرخو المتدفق في رأسي من أين ؟! مرتطم أيما ارتطام ومتلاطم هذا الصخب الرخو في الرأس في القلب في عيون زمن ساعتي الميتة المسكون بانتحارات شرخة، صافية ومزبدة من أين؟ من الصخب الآخر؟ والصخب الآخر، آتٍ من أين : رأسي؟ ورأسي يضج بالصخب الذي يلامس نسيم المحطة المبلل بدخان القاطرات ودبيب الأرجل وعجلات حاملات بضائع المسافرين بنعومة مذهلة وعقربا ساعة محطة آغا الكبيرة الميتة يشيران بعناد إلى التاسعة وعشر دقائق والساعة في جيبي جثة، هامدة، لا تدق. أمعاؤها جافة وهامدة لكن الرأس، رأسي يضج، أحشو كمية من الحشيش لكن بخفية وحذر غامقين في الغليون. كمال أهداني الغليون شهرا قبل مقتله. مقتله.

كمال أمزال. طالب جامعي قريب من الحركة الثقافية البربرية. قتل من طرف اسلاميين مسلحين بالحي الجامعي طالب عبد الرحمن بالعاصمة. في العام 1982 يحكم على قاتل كمال بـ 8 سنوات سجن نافذة.

تذبل الشمس الباردة، فديسمبر انقضى يا الشمس الباردة، يالشمس الباردة الحافلة تتبختر من بلاد القبائل إلى العاصمة وكأنها زوجة عاهرة وخائنة تعدو باتجاه الخلف

وتتصاعد نحو الأسفل وكمال الأشقر الغض يسرح النظر وراء زجاج الباص وكأنه زوج الباص، زوج العاهرة الخائنة المخدوع المغدور، الملدوغ.

الأجداد أو أجداد الأجداد ماذا يقولون؟ أصغي إليهم، يتقلبون في الأجداث، تنهشهم ديدان الخيانة والعهر المكلوبة ويرفسهم رفسا العهر عينه والخيانة عينها وهي غير عابئة بي، وأعراس مزيفة تشعلها كل ليلة أمام عيني وأنا كالمسحور أبكم، كالمسحور أخفي رأسي بين يدي لكنني أسمعها، اسمعها وراء الجدار تعهر ونفسها، تعهر والغرباء وأنا كالمسحور أداري صمتي الرمادي بصمتي الرمادي وغضبي الموؤود بغضبي الموؤود.. ماكدرة.. ماكدرة.. ماكدرة.. وكأن ماكدرة تهذي متى ينهض أنفي متى ينهض أبنائي، وأنا كأنني، وأنا كأني أهذي، أجدادي آه أجدادي، ماذا يقولون، قد قتلتهم ماذا يقولون، أعراس في الدار، أعراس كل ليلة يجللها الزيف والدم الفاسد وقبح العهر.. والكلاب ؟ سكرانة ترقص وخلف الباب أنا الزوج، زوج ماكدرة المخدوع والمخدوعة أنهش نفسي بالكحول والغضب المجهض والصمت الدامي بلا أنف، بلا أنف. والعجلات، عجلات الباص تدور كالزمن حول نفسه وحول نفسها، تدور يسارا وتدور يمينا وتصعد وتهبط، كمال في الباص يسترق النظر، العالم خلف الزجاج، والسائق

الكهل يدندن وحائر في أمر الضباب المتراكم أكواما أكواما في الطريق، الطويل، الملتوي، الوعر، وكأنه القضاء يقف بالمرصاد. هل تلا السائق آية الكرسي في قلبه وهو يشهد هذا الاحتلال الرهيب للطريق من طرف الضباب..؟ نقب غراب التطير رأس السائق الذي كف عن الدندنة وهو ينظر بآبئ دم متجمد تزخرف الكرسي ترمقه بعنف دفين فتوقف فزعا في مفترق الطرق وقتا ثم عرج والعرق البارد ينضح من جلده المرتعش شبه المحموم نحو اليمين حتى العاصمة، حتى العاصمة. بينما كمال ظل يرقب صمت المغاور العجيبة، صمت الجبال الرمادية : العزلاء والحمائم المهجورة، وصمت صمت الركاب وصخب الصمت ران بعد مقتل كمال في الجامعة. بعد مقتله رونا في البلد رونا في كل البلد.

ديسمبر، دسيمبر الموت والميلاد اكتسحنا النبأ في ديسمبر اكتسحنا النبأ، ديدوح انتحر، كمال نحروه، بجروه ويحط الرعب الغادر كالعقبان برحله على صدر الربيع الديسمبري، قتلوا كمال يا شمس ديسمبر الباردة. رأيتهم يقتلون كمال.. رأيته يموت.. رأيته، الرعب والدم والصمت يا شمس ديسمبر الباردة، قتل، قتل، قتل، وتهت في طرقاتها العاصمة، وبين مقاهيها، العاصمة، وباراتها العاصمة وملاهيها، العاصمة. كم الساعة؟ لا أدري.. أنا أتذكر.. أنا أكتب.. بل أنا أهذي... ما هذا الهوس..؟!

أنا الآن وحدي.. أجلس في الغرفة الغريبة مثلي وحدي وفي جيبي ساعة ميتة، ماتت جدتي ويدي عليها ويوم فزت بالباك قال أبي هاكها واحتفظ بها واحتفظت بها كأي ميت آخر مقدس في جيبي وهي ميتة في الخفاء اللغزي، كانت تتصارع بشراسة هوجاء ودقات الساعات الأخرى ودقات قلبي وشراسة الصراع يزداد أوارها ويحتدم كلما سكرت أو سطلت وتذكرت تذكر من دمروا ذاكرته ورموا بها ذرة ذرة وشظية شظية، طي بحار ومحيطات بلا ذاكرة، أفقدوها صخب الذاكرة، الذاكرة، كل صخب الذاكرة، كل الذاكرة، تذكر من جردوه من ذاكرته، من ذاكرته، ذاكرة جدتي عفنت ونخرها السوس وماتت كما لفظت جدتي أنفاسها وخلفت ساعة ميتة مثلها ويدي عليها ولما ماتت حلمت أنني نجحت وفي الصباح بشرني أستاذ اللغة العربية (نجحت)، نجحت ؟، وكدت أموت من الفرح، زغردت أمي وقربتني بقوة سحرية إلى حضنها المكتنز الدافئ (حمرت وجهي قدام العديان) وغمرني إحساس غريب لم أعرفه من قبل واقترب مني أبي وأخرجها من جيبه وقال هدية جدتك رحمها الله فهاكها ووضعتها في جيبي، مضلعة، فضية وهندية الأرقام، قال هدية جدك لجدتك بعد سفرة طويلة ابتلعت حتى ظله.

ودفنت الساعة الميتة في جيبي، طمرت الزمن الميت في قلب الزمن الحي وكللت الزمن الحي بخمار صمت زمن ساعتي الميتة وصرت كلما سكرت أو سطلت أبارز الجد الذي راح ولم يعد وأجره من أنفه إلى قبر جدتي وأقتله للمرة نون بالخازوق، أجدد قتله بالخازوق هذا الهارب بالخازوق وأرقده جنب جدتي ولا يظلل رمسيهما غير الزمزريق والحزم، ساعتي الميتة لا تدق، لكن، لكن قلبي يدق، يصخب وإن كان مرتطما، متلاطما صخبه، ذات الصخب في الرأس، رأسي، في القلب، قلبي، في عيون زمن ساعتي الميتة المسكون بانتحارات كذا وكذا وكذا وكذا، لكن كذا وكذا وكذا... ثم هكذا أم كذا، هكذا وكذا... ثم هذا الصخب وذاك الصخب لو كانا متقاربين متباعدين متماسكين متصاعدين متنازلين متشابهين متباينين متنافرين متلاحمين لهدر من ذاك وهذا الصخب، الصخب في تلافيف ذاكرة ماكدرة سيل صاخب من التقارب والتباعد والتماسك والتلاشي والتزامن والتغاير والتوازي والتعاكس والتصاعد والتنازل والتشابه والتباين والتنافر والتلاحم يجرف الأزمان والأصوات والأحلام والأشجان والأفراح والأقواس ويفتت المسافات والمساحات والظلمات ويسكن ويتخمر ويتعتق متسربلا بزخم التحولات والتفاعلات والانقلابات والألوان والروائح والأصداء جوف

الصحاري الطيفية والحدائق الموغلة الإيغال كله في أبراج ومدارج الذاكرة المرتطمة المتلاطمة فالنقع فالصهيل فمواويل البوشيخي فرائحة ـ ئحة البارود ، رود ، رود فماكدرة البضة، المغناج الدائخة بالأعراس والولائم والأعياد والدخن والسحر والرقص والدم، العابقة بعطر الماعز والثيران وزيوت عربات الشحن وملاحق المركبات الصناعية والأولياء المحنأة قببهم الخضراء، البيضاء الزاخرة بالشموع والعذارى الخارجات لتوهن من حمام تركي مزخرف الضاجة بزغرودات أمهات صبيحة إختتان صبيانهن ورعشات العرائس الميتات خجلا فرحا ليلة الدخول وخلجات أحلام أضناها العشق على شواطئ لاك سيدي محمد بن علي والسواقي والغدران والأنهار المتوحشة وأساطير افتضاضات البكارات الندية والاختطافات الخرافية وطوفان الأسماء والأشياء الغائرة السامقة المتناسلة.

... التاسعة والربع

ساعة المحطة الكبيرة تشير إلى التاسعة وخمسة عشر دقيقة وفي الذاكرة صخب يلطمني ألطمه، يشتتني أشتته، يرطمني أرطمه، يحاصرني أحاصره، يجنني أجننه، يقتلني أقتله، يبعثني أبعثه موجا هادرا بل نواحا صامتا بل نعيقا

داميا في صمته، بل سكرة وسنانة مشوشة، بل هبة ريح سرية أسطورية..

حشيش! كمية أخرى.. القطار القادم من القبائل يشير للدخول، ودورية من الشرطة العسكرية تتفرس بجهامة وعبوس وجه، يقفون أمام أحد الزماثرة يتظاهر قائدهم بقراءة أوراق يبدو أنه طلبها منه، ثم أمره أن يتبعهم حاول ليميڤري أن.. زمجرة فضربة على الرقبة، آي وتبعهم دون ثرثرة..

نصيحة : لا يجب أن تثرثروا مع العسكر..

بلا ثرثرة، العسكر لا يطيق الثرثرة.. تبعهم بلا ثرثرة. أدرت لهم ظهري وتواريت وغليوني وراء قطار بل بقايا قطار مهترئ، كمية أخرى، ديسمبر مشرف على الانتهاء، ماكدرة تمطر والفيضانات الساكنة رحم سيدي محمد بن علي تهدد بتدمير ماكدرة، كل ماكدرة بينما مشاريع ترميم جسر ماكدرة وتصليح الآبار وبناء سد منيع ذهبت طي النسيان وديسمبر مشرف على النهاية وماكدرة تمطر وديسمبر يرفس صدر ماكدرة بينما ماكدرة تمطر والغيث مريض، مريض وساعتي الميتة منذ خمس سنوات في جيبي لا تتكتك وإن كان قلبي يتكتك، ودقائق معدودات ويأتي القطار الليلي السريع المتوجه نحو وهران.. من العاصمة

إلى وهران أنزل بمحطة وادي تليلات.. آخذ القطار المتوجه إليها، إليها خمس مرات، طيلة الخمس سنوات.. وعندما أضيع القطار المتوجه إليها آخذ الباص أو سيارة الأجرة واصل اليها في الصباح الباكر، في عز القيظ، في هلوسة الزمهرير، في أواخر شهقات المساء المتعثر، الساعة في جيبي، منذ خمس سنوات مطمورة هي في جيبي لكن لا تتكتك وخمس مرات يضيعها مني الزحام، زحام الباصات، زحام الطوابير، زحام التجمعات، زحام التظاهرات وخمس مرات أعثر عليها صامتة وباردة أعثر عليها، وخنوعا عليها ميتة أعثر، اعثر، اعثر.. لا أسمع تيك تيك.. تيك، تيك.. يدي عليها لما ماتت جدتي والساعة ميتة، ميتة.. قطار، قطار، ماكدرة، وصخب، صخب..

2. كولاج.. (1).

السبت 31 جويلية...

عزيزتي..

البدء، يحيرني هذا البدء، يربكني، يختطف مني كل الكلمات، كل الصور، كل التعابير التي أظنها، أو ظننتها جاهزة.. من أي لحظة ينبثق البدء، من أية بؤرة يتدفق ؟! من أي أفق داخلي ينهمر قطرة، قطرة ليتحول إلى شلال قد يقذف بي، وبك إلى أي مكان، أو إلى أي لافضاء ؟! لا أدري.. البدء مخيف لأنه يسلب منا تلك الإرادة التي نعتقدها في لحظات غفوتنا أو وعينا اليومي الوهمي حقيقتنا أو عنجهيتنا المتخفية في أعماقنا.. البدء، قد يكون كل هذا الإغراء المثير لأنه يدشن فينا فتوحات لا حد لها، فتوحات تتجاوز الكلمات وتخترق جدران اللحظات، وتقودنا إلى حيث لا نكون نتوقع..

واللاتوقع هو هذا الوهج الذي يجعل من كل مغامرة تجربة متميزة. عزيزتي.. لا أخفيك أن في لحظة وحدتي، كنت تحضرين بكل صفائك.. بكل طفولتك المتوغلة في سراديب عفوية ناضجة.. بكل طلاقة روحك التي كانت تتشابك مع ذلك الغموض المريح، الغائر المتقد على أديم ذلك البياض، بياض كلماتك ولحظات صمتك وكآبتك.. أجل كنت تحضرين، بل كنت تكتسحينني وتتلبسني حالات كآبتك وزوايا كلماتك المتدثرة بالظلال.. وحضورك المكثف أحيانا الذي يتسرب إلي ويطوقني يفجّر فيّ حيرة لم أعرفها في حياتي من قبل، حيرة ترتفع بي في غالب الأحيان إلى مدارج تعج بالتأمل وتيه الروح، استسلم لها، أريد اكتشاف كنهها وملامستها، بل تعريتها لكن ذلك يبوء بالفشل.. أتدرين لماذا ؟ لأنها حيرة خصبة، ضاجة بالصور وحافلة بالظلال وعامرة بمشاعر خصبة، حيوية وناضرة. وكنت أيضا أتساءل من ذا الذي يجعل منك حالة، مثل حالة الرواية التي أنا بصدد كتابتها حيث تقودني إلى ظلمات مغاور ذاكرة موبوءة بصخب مدنس، حالة تقودني إلى ما ورائيات الجسد، ومثل هذا التساؤل كم كان يؤلمني تارة ويبهجني تارة أخرى.. فرح مرادف للسكينة ومرادف للإنبعاث من ذات اللحظة الكئيبة والحزينة، لحظة الألم. كل لحظة كنت أقضيها في الإصغاء والحديث إليك كانت لحظة خصبة

وبهيجة ومتناسلة ولا تشبه نفسها، كانت دائما متجددة وحية ومتدفقة، كانت دائما تبض بالشراهة في سبيل فتح أبواب مغلقة أو نصف مغلقة لكن مع ذلك كانت الكلمات تصل إلى حدودها، ترتبك وتفقد قوتها التعبيرية على حافة الصمت وعلى عتبة النظرات والضحكات القصوى.. ومن ثمة شعرت بحدود الأشياء، بحدود المكان وحدود الزمان وحدود العلائق الفيزيقية التي تسعى إلى تأطيرنا وموضعتنا، وشعرت كذلك بحدود التفاسير والتأويلات لمعنى العلاقة التي انبثقت بيننا وراحت تتحدانا.. اعتقد أن علاقتنا ليست بالنمطية ولا المؤقتة، بل ليست علاقة كالعلاقات، أطلقنا عليها "علاقة مقدسة" هل يكفي ؟ أليست هذه التسمية نوعا من أنواع التخفي؟ أو نوعا من أنواع التغطية على علاقة تحدتنا وتجاوزتنا بجموحها المستتر وتلافيف خارطتها التي راحت تمتد في غفلة منا منذ دهر حتى لا أقول سنوات ؟!! هذا الوعي بحدود كلمات الكلام، وحدود الأشياء مثل حدود المكان والزمان وحدود الجسد كتجلي متعدد للروح قد دفع بي ولست أدري كيف، أن أقترح عليك خوض هذه التجربة الجديدة، تجربة أن نتواصل، أن نبحر في أنفسنا وفي صخب كلينا بالكتابة (بالمراسلة) ؟ كلانا مليء بالأبواب والنوافذ.. وكل باب مفتوح على باب وكل نافذة قد تخفي وراءها نافذة،

وكل هذه الأبواب والنوافذ قد تقودنا إلى اكتشاف غرف وحجرات لم تهتد بعد إلى إضاءة شموعها ومصابيحها، وقد تكشف لنا هذه الشموع والمصابيح عوالم لم نكن ندري انها كانت نائمة، مطمورة فينا.. وقد تساعد على طرد كل تلك الأشباح التي كانت تبث وساوسها فينا في لحظات إطلالتنا على هاوية اليأس والاستسلام.. عزيزتي.. أكون قد أطلت.. وقد أكون تهت تحت ظلال الكلمات دون الوصول إلى تعرية الكلمات.. وقد أكون اهتديت إلى اكتشاف كل اللحظات التي شكلتني ولا تزال تشكلني من خلال وضع قدمي على طريق الحيرة التي لامستها عبر بوابة علاقتي بك، وعبر بوابة العلاقة عرفنا كيف نجعل منها منارة بعضنا في مسير، ثراؤه في لحظة بدئه.. أحبك...

الأحد 3 أوت...

عزيزتي...

قرأت رسالتك بمتعة فائقة.. لكن أيضا قرأتها بحزن.. وأثارني تساؤلك للغاية حول جدوى الكتابة... عزيزتي.. الكتابة كالسفر، هي بحث عن الانسجام المفقود، الانسجام مع الآخر؟! مع العالم؟ ما هو.. كل شيء يكمن في المعنى، لكن المعنى كالشيء الدفين تحت طبقة سميكة. الولوج

إليه يحتاج إلى حفر دائم، حفر متجدد، عملية الحفر وإن كانت تشكل لنا الكثير من الفرح، فرح تحقيق الأمل، أمل الإكتشاف إلا أنها في ذات الوقت تفجر فينا ألما لا حد له، مشرعة أبوابه على الحزن وعلى مسافات من الأسى تمتد فينا بشكل رهيب.. الكتابة تجعلنا نتحمل هذا القدر المطلق من الألم، من الحزن ومن الأسى العميق الذي يحفر هو بدوره مجاري تلك المسماة حياة التي تسري فينا. الكتابة هي سفر دائم، والسفر هو كتابة لا وجه لها، كتابة مفتوحة على زمن مجهول زاخر باللحظات المنطوية على طاقة تغلي وتفور بالدهشة. عندما أهم بالسفر أكون كئيبا، وعندما تجتاحني الرغبة في الكتابة أكون أكثر كآبة لكن كآبة لا يفصلها عن الفرح الهادىء والعميق أي جدار.. الحياة ؟! لحظة اختراق دائمة، لا تأخذ حيويتها ولا تستعيد خصوبة انبثاقها فينا والذي هو انبثاقنا الهادر إلا عندما ندشن المعنى الذي يتملكها، يرسمها ويشكلها.. هذا المعنى مفقود، ضائع في تيار الزمن وفي الضياع تكمن مأساة وجودنا، مأساة اليتم والفقدان، ومن ثمة يحدث الشرخ، وهو شرخ عميق، شرخ مفزع بين الأنا والآخر، بين الأنا والعالم.. ويتحول البحث عن الانسجام، البحث عن تقليص الهوة بيننا وبين العالم، بين نظرتنا ونظرة الآخرين، بين جوهر التدفق وجدران الجمود عسيرا، يكاد أن يكون شكلا من أشكال الاستحالة،

والزمن يتحول بدوره إلى خزان للموت، للاستسلام، لانتفاء المعنى، للانتحار. عزيزتي.. نخطأ كثيرا عندما نظن أننا سادة أنفسنا، السيادة لم تعد لنا، اغتصبت منا منذ أن بدأنا نعي العالم الذي يحيطنا، يشكلنا، ويعيد تشكيلنا لنكون الشكل الذي يبتغي. الصورة التي يريد، الصدى الذي يتشكل لصوت غير صوتنا، ثم الوهم، نظن نعتقد أننا أسياد أنفسنا.. الكلمات، حتى الكلمات تتحول إلى سلطة للقهر، قهر الذات المتحررة، تحرق براءتنا الكلمات، تتحول إلى قيد نفتخر به، يقود أفكار سلوكاتنا.. لحظة الوعي بالقيد، بهذه السلطة النتنة التي تحكمنا في السر وفي العلن أيضا، هي بداية وضع القدم على طريق الحرية، لكن كم تبدو مستحيلة.. الإصرار على السير في هذا الدرب، هو السبيل الوحيد في عملية انقاذ ذاتنا من هذا المستنقع الكبير.. الغربة تنبع من هنا، الوحدة تنبع من هذا اللاانسجام ومن هذا العناد على تدشين الرفض وعلى نضالنا الفردي في أن لا نكون صدى لتلك الأصوات المتمتمة كالأشباح في الظلام.. نحن أقلية، نحن سلالة نتألم، تحب بغرابة لكن تعرف كيف تحب، لدى الآخرين، حبها شذوذ، تميزها لعنة، أفرادها يحشدون الحشود ضدها. مستقبلها في مقاومتها، محكوم عليها الذهاب إلى أقصى حد في اللحظة من أجل تملكها.

عزيزتي..

دائما احفر في الكلمات أحفر في كل هذه الصور التي تجول في ذهني أريد أن أصل إلى حقيقتها، أن أصل إليك، إلى حقيقتك التي لا أعرف إلى أين سيقودني الطريق إليها.. حقيقتك تكمن في أغوار الكلمات الانسجام لا نصل إليه وحدنا.. نصل إليه بالحب والألم وهذا الحب هو حب منفرد، حب بلا حسابات. هو عطاء كله. هو تجاوز لكل المخاوف، لكل الجثث المرعبة، لكل القيود، لكل الجبن الذي ينام في أعماق أنانياتنا. الحب قد يكون لحظة انجازه فرح كبير، فرح هادر، فرح يتجاوز الوصف، لكن لا يخلو من الألم. عزيزتي.. الكلمات هي أحيانا ذاكرة متدثرة، تسكننا بكل روائحها، بظلالها، بصمتها، ببقعها الدامسة، بكل تلك الرعشات التي نسري إليها لكنها لاتتحقق، تخفت كما الجمر أمام كل اللحظات المحرمة، الممنوعة، القاتلة لكل الأشياء الجميلة، لكل النسمات الحية في المهد. عزيزتي.. نعتقد أحيانا أن الذاكرة هي ماضي، هي لحظة خلفنا، لكن في الحقيقة هي طي للزمن الآتي قبل الزمن الفائت. الزمن الفائت، هو زمن لا يموت، هو زمن يسري تحت السراديب. يثقب الحجر، يتملك الأفق ويتحول إلى زمن طاغية عندما نغفو، عندما يموت حس الزمن فينا، عندما تنتحر يقظة القلب على عتبة الامتثال

لكل الأصنام الميتة مثل العادات، السلوكات المهيمنة، مؤسسة العائلة، المجتمع إلخ... الذاكرة ايقاع متجدد، هي الحياة مفتوحة على المعنى الذي لا يكف عن التشكل المتجدد، الخلاق، الفائر، الحي. الذاكرة هي التي تعيننا على استرجاع اللحظات التي ظننا خطأ أنها ضاعت منا، لاشيء يضيع في هذه الحياة ما دام المعنى لن يفقد قدرته في أن يكون المحرك الحقيقي لخطوات الروح ومسير العقل وتفتق القلب. انتاج المعنى هو استعادة الحياة المتجلية فينا لسلطتها. عزيزتي.. وصلت إلى المطار. منتصف النهار كانت السماء داكنة، لكن الحرارة كانت كالسياط المزيت قلق يسكنني، شبحك يلاحق شرودي.. كنت تبدين وكأنك خلف دنيا من الأشباح، نظرك مشرق، يضيء ظلماتي التي تثير فيّ قطعا من الماضي المتناثر وقطعا من أرق الحاضر وحرقته. لا أجد الكلمات، استسلم للشرود القلق.. نزلت من الطاكسي، خرج السائق وفتح لي الباب الخلفي. امتدت يدي إلى الحقيبة المليئة بالأوراق والتي كانت تبعث فيّ نوعا من اللذة السرية، ثم وضعت الحقيبة على كتفي، وودعني السائق (بالسلامة أستاذ).. خطوت باتجاه مدخل المطار وأنا أنظر إلى تلك الوجوه التي كانت بلا معنى، نظراتها معلقة، تنظر إلى كل شيء وإلى لا شيء، تحسست جيبي، وجدت التذكرة، لكن عرفت أنني نسيت بطاقة الهوية في المحفظة،

لم يكن ثمة من وقت كاف. وضعت الحقيبة في السكانير، رفعت يدي وتركت الشرطي يفتشني بطريقة روتينية. ثم توجهت نحو كشك علق في أعلاه لوح مكتوب عليه "كل الاتجاهات". باحة المطار واسعة، يجلس المسافرون على كراسي بلاستيكية حمراء، ويقف آخرون في المقهى العامر، النساء والأطفال والرجال، لم يكن الطابور طويلا، وقفت حوالي خمس دقائق.. الرجل الذي كان يقف وراء الشباك، نظر إلي بشكل باهت وكسول وقال : معك باڤاج، قلت لا، قلتها بكل تلكؤ ولا مبالاة، استعدت الكارت داكصي، ثم توجهت لأضع على بطاقة الرحلة المعلومات الروتينية، بحثت في جيبي، لم أجد قلما، وجدت قلم رصاص، طلب مني رجل ضخم الجثة، أسمر، ذو عينين غائرتين، كان يلبس شنقهاي داكن أن أملأ له البطاقة، الحق، الحق، تفاجأت لأن مظهره لم يكن يوحي أن الرجل لا يعرف الكتابة، منحني قلما وسجلت المعلومات المطلوبة، شكرني، ثم منح قلمه لمسافر آخر كان بدون قلم، ترددت عندما اكتشفت أن على الطاولة حيث البطاقات قلما من دون صاحب.. جربته ثم شرعت أملأ الورقة، وعندما رحت متوجها إلى قاعة الركوب، تناهى إلى مسمعي صوت أنثوي.. ـ سين، سين، سين... التفت، كانت امرأة قوية البنية، قمرية اللون، ذات عينين عسليتين، لامعتين، ابتسمت، اقتربت منها، كنت

على أهبة تقبيلها لكن ما أن اقتربت حتى اكتشفت أنني لم أر هذا الوجه من قبل..

قالت : ألا تتذكرني ؟

قلت : لست أدري..

قالت : زميلة قديمة، كنا في نفس المدرسة الابتدائية..

قلت : لا أتذكر..

قالت : اعرفك، وأعرف أمك جيدا ؟!

قلت : (باستغراب) أمي ؟!

قالت : وماكدرة، أيضا ؟!

قلت : إذن أنت من ماكدرة.. ؟

قالت : غادرتها منذ سنوات..

قلت : إذن أصبحت عاصمية..

قالت : ماكدرة، هل تغيرت كثيرا..

قلت : كثيرا..

قالت : والناس ؟!

قلت : كثيرا..

قالت : لازلت تكتب ؟!

قلت : إذن أنت تقرأين ؟!

قالت : قرأت لك روايتك الأولى..

قلت : ياه !!

قالت : صعبة ومعقدة.. لكن فرحت، لأنني وجدت فيها ماكدرة التي أحب..

قلت : شكرا..

قالت : لازلت تكتب ؟!

قلت : اشتغل على رواية جديدة..

قالت : رواية جديدة ؟!

قلت : هوس.

15 أكتوبر..

عزيزتي..

لكم شعرت في تلك اللحظة التي ساحت من عينيك الدموع أن أغوص في ذاتك، أن أذوب في ذلك الصفاء الذي تبدى من وراء نظراتك السمحاء الكئيبة كالفيض الروحي.. كدت أصرخ من كل أعماقي، أنت أعظم مما كنت أتصور.. كنت الصفاء في كل صدقه وكنت الضعف الشامخ الذي من دونه لا يمكن أن تنبع منك تلك القوة التي تقود خطواتك وارتفعت بك عن كل تفاهات الآخرين، وإن

كانت تلك التفاهات تثير في سراديب روحك كل ذلك الألم الصامت الصارخ والمهول وأنت في قمة عزلتك الداخلية التي تعرفين كيف تطوقينها بهدوئك وعمق سكينتك الملتهبة.. منذ أسابيع وأنا أواجه ذلك الحصار الداخلي الذي جعلني عاجزا عن التعبير عن كل ما كان يجول في نفسي من أفكار ومشاعر ومن قلق وأحزان متكسرة.. أنا أيضا كنت في حاجة إلى لحظة ترهب معك، إلى لحظة عزلة قصوى أعيشها معك، ولم أتمكن من تحقيقها، وأنا لا أقول لك أنك كنت بعيدة، لكن ظروفك جعلتك تعدينني بها دون أن تتحقق، وكان ذلك يؤلمني ومع ذلك لم أغضب، كنت أتألم وحدي.. ولم يتحول ذلك الألم إلى ملامة أو غضب لأن ذلك الإنجاز الجميل الذي كان ينبني بيننا كان يغمرني سعادة..

في الأسابيع الأخيرة كنت أعيش لحظات قلق مريعة وكنت في صمت أسعى لمواجهتها ولكم كنت أتمنى أن تكونين ذلك الملاك الذي اتنفس بين أحضانه، لكنني لم أرد تعكير صفوك.. في لحظة قنوط، ولا أدري كيف، كنت أقول، أنت طهري، وبالفعل ستبقين ذلك الطهر الفاجر، وتلك القوة الجميلة الماردة التي لا أخالها يوما تخذل نفسها وتخذلني.. إننا نملك شيئا لا أعتقد أن الكثيرين يمتلكونه، نملك القدرة على الحب والقدرة على استيعاب الألم وتحويله

إلى حب عنيد يعرف كيف يصمد وكيف يتحدى وكيف يستمر.. الآن، وأنا أكتب إليك أشعر بالحرية، حرية نقية، حرية جذلانة وفرحانة، حرية تبدع الحب، حرية تجيد كفكفة دموعنا الداخلية الحارة في سبيل أن يشع النور الذي تتغذى منه تلك الروح التي جعلت من علاقتنا انجازا مقدسا. إن كآبتك والتي لن تفارقك حتى وإن كنت في قمة سعادتك هي التي ستجعل منك ذلك الإنسان الشفاف ذو الحس الرهيب بالآخرين، إن إحساسك يسكنني، يخاطبني أقوى من كل الكلمات التي تكتبينها أو تتحدثين بها إلي.. إنه إحساس يحميني يكون لي، بل كان لي بمثابة الملاك، الحارس لي من كل سقطة في لحظة من لحظات الغفوة أو اليأس العابر..

لقد اجتزت مصاعب لا تتصورين الآن مخاطرها، وستجتازين بفضل ذلك الإحساس الذي تمتلكين عقبات أخرى، إن بدا ذلك قوة أعجز عن وصفها، فدعيها تتجلى، وقوديها إلى أقصى نقطة حتى تكون في اجمل تعابيرها. تعلمت منك أشياء جميلة، تعلمت منك تخزين الألم وتحويله إلى قوة عنيدة ورهيبة من أجل الانجاز القاسي أحيانا لكل ماهو بداخلي، علمتني أن الذي يعلّم بدوره يتعلم، لقد منحتيني لحظات جميلة لم تزدني إلا قوة وتشبثا بتلك العلاقة التي انجزناها. ثم علينا يا عزيزتي أن نتعلم كيف

نتعالى وكيف نجعل من تعالينا تواضعا حقيقيا للآخرين حتى للذين يعجزون على الحب والعطاء..

أحبك..

3. طيف زانة...

مقهى الإتحاد، مقهى الصومام، مقهى بعلبك، مقهى مرحبا، مقهى الباهية، مقهى الكناري، مقهى البرازيل، مقهى الهلال، مقهى البوسفور، مقهى السوق ومقهى ماكدرة الكبير.. مقاهي، مقاهي، مقاهي.. الوجوه تأتي وتروح وتروح وتأتي، النوادل يأتون ويروحون ويروحون ويأتون، العيون مدفونة في كل الزوايا، رمادية وكالحة وشريرة، دائرة، الرواد مسمرون، مسمرون، مسمرون حتى الموت، حتى البعث.. أجلس وحيدا، الوحدة دائرة، فالصخب والسيلان والشجار والضحك والنزق والأحلام والشدو والنهر والموج ثم الهلع، الهلع، الهلع والصمت والصمت والصمت والرعب الرعب، الرعب.. في قلب الدائرة هلع، صمت ورعب.. في الخارج تمطر، ديسمبر صنوبر الأحزان وأنا أجلس وحيدا في إحدى زوايا الإتحاد، عباس النادل ينط من طاولة إلى أخرى، أمامي يقبع الشاي المر الشاحب

وأوراق عديمة الوجه والصوت.. الساعة ترقص، والرقص ميت مثل الساعة الميتة في جيبي.. يخرج سرب الحمام من ثانوية النجاح.. سرب الحمام تلهث خلفه القضبان الساغبة المترهلة السائمة شبه المتمردة.. ينبطح الإتحاد على يمين مفترق طرق المدينة، خلف الزجاج قضبان أخرى ساغبة وسرب حمام هائج وسيارات من آخر طراز تصدح وفيلات تنبت كالطحالب وأرجل طويلة، قصيرة، مشوهة، متعبة، مجنونة مشلولة تصعد وتهبط وتدور، تدور، تدور. خلف الزجاج تمطر، طيف زانة يتجلى خلف الزجاج، وخلف المطر.. ثم حمامة تصطادها سيارة وسيارة تصطادها حمامة.. رأيت الكاتب يمر.. كان يحمل حقيبة سوداء.. كان شعره حليقا مثل طرازبولبا.. يضع عوينات زجاجية.. من تلك التي كانت بصحبته ؟! سمراء، نحيلة وطويلة.. كانت تتكلم ويدها في يده والمطر يسقط.. والمطر يسقط والمطر يسقط.. والمطر يسقط.. سمعت أنه كتب عن زانة.. هو لم يعترف أنه أحب زانة.. زانة ثمرة فاسدة.. زانة زوبعة من الجنون التائه.. زانة، رأيت طيفها خلف الزجاج.. ورأيت طيفها ينبت كالشجر المتوحش.. وقف الكاتب طويلا أمام مقهى الإتحاد.. تظاهر وكأنه لم يراني.. أشار بيده.. وتوقفت سيارة أجرة.. فتح الباب لتلك التي كانت بصحبته.. ثم فتح الباب الأمامي ورمى بنفسه داخل

الطاكسي، ثم اختفت الطاكسي.. والمطر ظل يتساقط.. الناس تمر خلف الزجاج.. الناس يهرعون تحت المطر.. الناس خائفون.. اللّه أيضا مخيف الحكومة مخيفة كذلك. والمستقبل مخيف شعرت بالخوف من الخوف.. بل شعرت بالصرع عندما شاهدتها، شاهدت طيفها.. رأيتها قبل أن أراها. أين ؟! لا أدري. أعتقد أنني رأيتها قبل كذا سنة، قبل أن أكون رأيتها.. رأيتها لحما وعظما وطيفا، ولما رأيتها قد كنت وكنا. رسمتها كمعلقة من المعلقات الأسطورية على جدران ماكدرة.. رأس زانة مدور كالقمر. رأسها قمر، القمر مدور كرأسها. إنطفأ القمر واشتعل الدجى من فوهة الرأس فواحسرتاه على القمر، على رأسها المدور كالقمر، على القمر، وعلى القمر المدور كرأسها.. محوت القمر، العينان أسحر، أرسم العينين، ولما رسمت العينين غار القمر المنطفئ فانتحر، رموش العينين مزوقة، صارخة، شامخة، العينان موج أزرق، بل ليل طلسم يغرق حتى العنق في بحيرة لجينية ساحرة، سجنت أحلامي الرموش وذات صباح خرج المداح إلى الدنيا وروى الحكاية، كانت الحكاية يائسة وحزينة مثل مهابيل ماكدرة، جائعة وكئيبة، يا لرموشها التي سجنت أحلامي. تتزنزن الرموش وتموت الأحزان حزنا وكمدا. أقشر الرسم، أضع خطوطا وفي تجاويف الخطوط الآبارية أصوات ووجوه كالشموس

والأقمار، كالموج الهادئ والإعصار أو كالتيه الصدئ.. على الجدران تنتشر الخطوط المموضعة كديار العناكب وخيام الرتيلاء والوجه يكون مدورا وكبيرا، الوجه يكون مدورا وساحرا، والثدي يكون عاريا ومثيرا والثدي يكون عاريا وصارخا، تثور بيدي الزوابع وقوافل النوق والجمال فأصفع الوجه المدور بـ... وأسقي الثدي العاري بحليب الـ.. المخثر، تسكرني الشهوة، تقتلني اللذة فأسقط بين فخذيها شهيدا.. أفيق من موتي.. لا أحد، لا أحد، لا أحد أصرخ كالملدوغ، اسمها، اسمها؟ اسمها؟ لا أحد، لا أحد، لا أحد أصرخ كالملدوغ، هي، هي، هي أين؟ لا أحد، لا أحد، لا أحد لا أحد كان لا أحد سمع لا أحد رأى، عندما تقيأت الريح من قفصي الصدري كانت تعبث بالصمت والموت والفراغ والهذيان.. ريح، ريح، ريح .. ثمة لم تكن غير الريح، فسكرت ودعرت ورقصت وحلمت وحكمت وانتحرت. كنت في كرشها، يوم انتحرت، الكاتب، صاحب الهوس، أثاره الرسم فضحك، تأملت ضحكته جيدا، قلبتها، غازلتها فلم تكشف لي عن سرها، فركنت إلى زاوية صمتي الضريحي كنت على شفا حفرة الموت عندما نزل علي الكاتب بوجهها، باسمة كالموناليزا كانت، تركني واللوحة وطار، فتتت اللوح تفتيتا، دفنتها في غليوني المؤسطل وشربتها حتى لحظة نشوة الجنون والغثيان، نزلت

واللّه نزلت، واللّه نزلت، من السماء واللّه جسدها المقفطن نزل على متن جواد دخاني اللون والرائحة... وجهها باسم كالموناليزا، من بعيد عانقتها وقبلتها.. عانقتها من بعيد وقبلتها لأنها كانت بعيدة.. زانة، أحبها العشاق، قاتلة عشاقها زانة، يا الرب اسمها زانة.. شهد رباني يترفرف متثاقلا سكرانا من شفتيها زانة، يا زانة. جلست على كرسي خشبي صغير غريب أخضر مذاقه كلون قبب الضرائح والقبور، تتكلم وكأنها لا تتكلم، تغرد وكأنها لا تغرد، يتماوج ضحكها المتكسر وكأنه لايتماوج تزغد، وتردح وترقص وكأنها لا تزغد ولا تردح ولا ترقص، زانة يا زانة، شهية يا الرب كالموز والكأس الدهاق والزبيب، زانة يا زانة، فراشة خضراء، حمراء زرقاء، بيضاء يطاردها جنوني ويطاردها السعير الندي، سعيرها، مددت يدي، مدت يدها، بين اليدين مساحات ومحيطات ومدن وصحاري، بكيت كطفل وألقيت برأسي المشتعل على صدرها.. الصدر طيف، وطيف الصدر كأنما صدرها صدر مكتنز، هو مكتنز لأنه مكتنز ولأن غابي بالشهوة مكتنز يا رايي ويا رايي، زانة يا زانة، بيني وبينها قدم، بيني وبينها شعرة، أمد يدي فهي بعيدة، بعيدة، بعيدة، أشعر بالبرد، الحرمان قارس، القلب يرتعش، الأحلام تصطك، ويدي أمدها، طبعا مددتها وشعرة بيننا أي بينها وبيني وهي بعيدة، بعيدة،

بعيدة أمد وجهي للريح، كان المساء وكانت الريح ديسمبرية، أسير في طريقين، أستنشق هوائين، تدغدغني ريحين، يراقبني إلهين، أسلم على ناسين لكن من بعيد، من بعيد، من بعيد، وصوت زانة القريب لم يكن يناديني وإن كان يناديني غاويا إلا من بعيد، من بعيد، من بعيد، ككرة متشردة دارت ماكدرة في رأسي، في عيوني الزائفة وفي قلبي.. ككرة متشردة مجنونة كنت منقادا ما بين نشوتين، وزانة كانت تشمخ كنسر أسطوري على قمة نشوتين، النشوة المسطولة، والنشوة المجنونة اليقظة وأمام مقهى البرازيل رأيت زاااانة.. الكاتب رآني.. نحب لوحته، وجه موناليزتي، ساح الدم، عانقت الدم، عانق الدم الظلام وتسربل الظلام بنشوة اللذة المنحورة، آه وجهها، وجه موناليزتي، وجه اللوحة، وجه اللذة، الدم، الظلام، آه الكاتب كسر كأسه يا صاحب هوس كسرت كأسك، إبتلعته وطرت داخل البرازيل، الإتحاد، الباهية، أعوي زانة.. هي كانت تمر طيف يمر على البرازيل، الإتحاد، الباهية ليدور خلف الصومام ويصل كالعادة متأخرا إلى ثانوية النجاح وأنا أعوي بينما كان الطيف، طيف زانة، وسرب الحمام الهائج يمر علي، على البرازيل، الإتحاد الباهية، ليصل متأخرا كالعادة بعد أن يكون دار خلف الصومام. طيف زانة أصابه الفزع، قال في نفسه ولنفسه أنني أخجلته أي

أرعبته.. كمية أخرى.. جاءني قدور، كنت متعبا، جاءني قدور، نهر أخضر.. جاءني من أدغال غابة عطش صخري.. كنت متعبا، لم أعد أرى زانة، ولا طيف زانة قالوا نامت مع آخر، قالوا باعت جسدها لآخر، قالوا عشقت متسولا وغابت في غياهب جحره.. قالوا ذابت عشقا في ذات رب العالمين قالوا تصوفت، قالوا خرت على ماكدرة وأصبحت مضيفة في طائرة، قالوا تزوجت وقالوا وقالوا وقالوا... كمية أخرى.. رأيت الشمس كالزهرة ذاوية، كزانة ذائبة، نائية، رأيتني أضيء الشموع وسط الدخان وعطر أرواح الأسلاف والأولياء الصالحين.. رأيتني أقول أقول، هات، علمني يا قدور، علمني اليوم، هات يا قدور، هات، يصاعد العالم إلى أنفي، يتبخر الياقوت، يساقط المرجان، يتشقلب بعروقي الإرتعاش، تلتصق بي الأفخاذ اللزجة، البيضاء، السمراء، الزنجية، تتشابك الشهوة ونشوة الخضرا الصاعدة كالتيار المترهل إلى الرأس، تنغرز الأصابع في ظهري تتسارع دقات القلب، أهذي زانة، فيتشبت الصدى، آح، آح، زانة.. أح.. زانة.. أح..أح..أح.. تذبل الشهوة، تنذوي اللذة، أهذي زانة، فيبح الصدى، لا صوت، لا صدى، الصدى بح، الصوت بح، زاوية سيدي معاشو بوتليليس تدور وتدور كزربوط نشوان، زائغ الحركات، الزاوية تدوي بالروائح والأشباح والألوان، ونحنحات النسوة

المطلقات والعوانس.. غنوة طفولية تنبعث من تحت ركام الدخان الذكرياتي الدائخ، تطفو إلى سطح بحيرة يقظتي الوسنانة.. "يا عمي أرواح اتشوف يامينة ولدت حلوف" يامينة بنت عمي بومدين الحشايشي، من أزال بكارتها؟ من بجرها؟ زوجة الأب قالت زوجها، ماكدرة دوخها الخبر، حاصرت الشرطة بيت الأب، وجدوه منتحرا. رصاصة في القلب، رصاصة في الرأس. يا عمي أرواح اتشوف، يامينة ولدت حلوف.. قادوا زوجة الأب المنتحر إلى السجن، قالوا غارت من ابنته فسحرته فأزال بكارتها فبجرها وانتحر. رصاصة في القلب، رصاصة في الرأس، يا عمي أرواح اتشوف يامينة ولدت حلوف، اجتاحت الفيضانات ماكدرة، أخذت الفقراء والحثالة والحيوان والجماد. اجتاحهم الهلع. كانت ماكدرة مهلوعة ومفزوعة، بحلاط عوام ماكدرة كان البطل والأسطورة، الظهر موشم، أفعى رقطاء وخنجر، الصدر الغابي المدلهم موشم، رأس امرأة صاخبة وخنجر، الذراع الأيسر موشم، قلب دام وخنجر، ثم الدم والكأس ثم : MERDE BAH, PAS DE CHANCE, VIVE L'AMOUR, VIVE LES JEUNES. VIVE LES FEMMES ثم ياعمي أرواح اتشوف يامينة ولدت حلوف.. كان ذلك في العام 1967، اجتاحت الفيضانات ماكدرة، والمذياع ينوح العرب، اليهود، مصر، فلسطين حرب، حرب، حرب.. مدرسة العقيد لطفي للذكور، العاشرة

صباحا، أخرجونا من الأقسام جو غريب المذاق يسود الساحة، لا ضحك، لا لعب، لا حركة، دق الجرس الأول، أوقفونا صفوفا صفوفا وصعد مدرس اللغة العربية نبيه المصري على المنصة، وانطلق كالسهم، أقول كالسهم في كلام كالسهم، عجيب كالسهم، غريب كالسهم صفق الكبار فصفقنا، كلام متناثر يرفرف في أعماق أفق مدرستنا الابتدائية، حرب، فلسطين، نكسة، عرب، صهيونية، جمال عبد الناصر. دق الجرس الثاني كان الرنين رماديا فافترقنا. في المساء سألنا الأستاذ نبيه المصري (عجبتكم خطبتي؟ جميلة كالفتيات الماكدريات، أليس كذلك؟! فقلنا نعم، نعم فقال بل قولوا "بلى، بلى" فقلنا "بلى، بلى" وصفقنا ففرح فرحا شديدا وسر سرورا غامرا وأضاف لكل منا نقطتين إلا زميلنا حساني جلول أكبرنا، الذي لم يقل بلى ولم يصفق.. ياعمي أرواح اتشوف يامينة ولدت حلوف، كانت أسرتي غائبة في ذلك اليوم. ذهبت إلى بيت خالي الذي خربت بيتهم الفيضانات، قال قدور بيتكم فارغ، ويامينة جارتنا بالبيت تدور، فرحت يامينة، يا فرحتنا ويا فرحتها، تعرت قبل أن نعريها، حلمتاها صغيرتان كحبتي قمح، تهاوى الكيلوط، قمة المشهد، البعث الاستشهاد، آه.. أح.. أح.. أح. تسقط على الإسمنت الصلب كالأغصان، أشلق، أشلق. أح.. أح.. يصعد الشهد إلى العينين، إلى

الدماغ، يتناثر الجلمود في البصلة السيسائية كذرات الغبار المسطول تنقض علينا عقبان الندم والبكاء، يباغتنا الجيران، فنحبس ونضرب ضربا مبرحا، تينع يامينة كزهرة وتلوح كعوسج متوحش، تنتفض من فراشها ذات ليلة ديسمبرية كالمدوغة (يابوي ماولدتش حلوف) يا عمي أرواح تشوف يامينة ولدت حلوف. كمية أخرى.. الخضرا.. الخضرا.. يا قدور لف سيجارة وجذب نفسا وجذبت نفسا عميقا حتى سكن الإحمرار عيني، سعلت وريقت فغرق قدور في موج ضحك صاخب ومسلوخ، أنا أسعل، هو يضحك، يضحك ويضحك وأسعل وأسعل.. النجوم نعسانة والأضواء مسلولة وشوارع ماكدرة المتربة، المغبرة تصفر، كمية.. أخرى. طيف زانة.. زانة رأيتها وكأنني رأيتها فعلا، سرب الحمام الهائج ينقر الكلمات الداعرة والمعاكسة الجوعى المتبرجة، حمامتي يا حمامتي، تركت الكأس وسريت. زانة يا زانة توقفت حمامتي الهائجة عن النقر والرقص، دقات القلب، توقفت عن الخفقان الهائج، اقتربت فطارت، طيرانها كان غير بعيد على قمة عمود كهربائي شاحب هذلت وسجعت، جلست على أرض إسفلتية كاليوغي، زخات المطر تغني وتدندن وأنا أرتل قصائد حب لحمامتي الهائجة، لزانة، أجلس وحيدا في الصومام، في الإتحاد، في الباهية أنتظر طيفها فلا يأتي، يأتي المتسولون

والقوالون والمنجمون والممثلون والمجانين والشعراء وعشاق اللواط على طول وعرض جدران الصومام.. جدران الصومام.. جدران الصومام.. جدران الصومام.. جدران الصومام. كمية أخرى.. هل يتذكر صاحب "هوس" أنني أحببته، وأنني عشقته مثلما عشقت زانة.. ومثلما عشق هو زانة.. هل يتذكر تلك الأيام التي أحببنا فيها، ماكدرة وزانة؟! هل يتذكر مجنون ماكدرة، بن عليوى. هل يتذكر كم كنا مجانين بالراي.. وهلوسات بن عليوى.. ماكدرة خضاها لهبال يالال، يالال.. من قهوى لقهوى اندور كواغط، كلام ومنام أنا وهو، يالال، يالال ارمات القش والشطايط ماكدرة، ويالال، يالال هاج الشعر وطار قدات، وشعلت وخرجت عريانة كيما ولدتها أمها.. في لاك سيدي محمد بن علي، يالال يالالال بن عليوى مشرمط، الشعر طويل، زعفان، مخبل، الشلاغم حصيدة، شوك متوحش وهايج، الوج غابة، اسكنها جمر السكات وتقريعات بحر سكران.. فالطحطاحة غنى بن عليوى وقال ماكدرة الزين لهبال ماكدرة غولة لغوال عليك قلت لقوال وهبالك زاد هبالي هبال..

* * *

بن عليوى البلاطو مبشش، يعقل على عام البون، سروال لانقليز مهيدر، بلا براقيت والسباط زيط، زيط،مقاهي،

مقاهي، مقاهي وجوه في الداخل، وجوه في الخارج،صمت في الداخل، صخب في الخارج الداخل والخارج.. جنون، جنون، جنون. ڤالها بن عليوى، مجنون ماكدرة قالها يا نكارين الخير، الملح والملة، وين الشرف وين؟ ماء الوجه والنيف يا تحواج أماتكم وين؟ بعتوا أولادكم ونساكم وماوج اجدادكم ياتحواج أماتكم، وين الشرف وين؟ كذاب من ڤال لجداد ماتوا، كذاب.. يا اللي قتلتوا لجداد، راهم حيين، واللّه حيين في أرواح أولادكم وأولاد أولادكم الجايين، حيين في قلب ماكدرة الموشم بالدم والحنا.. مقاهي، مقاهي يا الراي، وها الراي، قالها بن عليوى قالها غدوة، تاكلوا الحجر من تحتكم يخرج الدود، ياكلكم الدود يسيح من عينيكم القيح، يعميكم القيح تهيج من قلوبكم النار، تسرطكم النار. يالالال، يالالال... بن عليوى قالها.. بن عليوى، لا دار لا دوار، المڤلوع حفظ العلوم، قرا الكتوب، وعرف السر، المڤلوع.. خالط الفرانسيس، ليهود وسبانيول، المڤلوع عرف الخضرا، ونساوا الماحيا وزياخة أيامها، المڤلوع حافظ، من ديوان المجذوب ومصطفى بن براهيم المڤلوع.. "تنفار الكاس والخلاخل والخضرا، زهو للملاح البوجي في الحسوك شاعل والخد قبالته وضاح آ الساقي اسقي وكون عاقل زيد للقلب، اللي راح قالت زهرة وكيف تعمل والفجر علا، وراه لاح.." كمية أخرى.. راي يتلف راي.. صوت

الريميتي صداح.. وأنا هائم كالزمن الغابر.. صوت بن عليوى يندلق إلي من مغاور الزمن الغابر.. الزمن المشوش، الزمن الضائع..

الصوت :

ولفي غاروا الحسود نكروا أفعالي

ولفي ونا اللي سهرت الليالي

ولفي بالكاس والقصب في المرابع

ولفي أبطال ماكدرة في الطلايع

ولفي فودات غابطات المسالي

ولفي بلباس والطبع والصنايع

الصوت :

ياماكدرة راهم ينكروك، فالمنام شفت الديوبة

تاكل فيك وأنت حية يا دين اللّه وأنت حية..

بدلولك البلوزة وعلقوا لك مدايات.. الغنا

جيفوه، زقيت (ماكدرة، ماكدرة، لا أمان لا ثقة في الديوبة..)

ماكدرة خضاها لهبال.. يا لالال، يا لالال..

أرمات القش والشطايط واللويز، شعلت النار في شعرها

وغترت عريانة في لاك سيدي محمد بن علي.

يا لالال، يا لالال مبروكة؟! أميرة ماكدرة.. مبروكة شافت ماكدرة تغرق.. مبروكة، جدودك منين؟! سولها خطرة بن عليوى قدام ما يسكنه الهبال..

جدودي مسودان..

بلاد ضوها قطران

سحرها الإنس والجان..

صوت مبروكة :

"جدودي منين جاووا، جامعهم هياج الواد إذا اسكر، وسكرة الدم إذا هاج، وهبال الديوان إذا ناض ويا لالال، ويا لالال.. أنا مبروكة أميرة لبنات.. يالالال، يالالال، غولة الغيلان، قارحة مريولة، زينها في كحوليتها، ناس ماكدرة قالت عليها، لصقتها دعوة الجنون والطلبة ما تكبر ما تصغار.. رقدوا معاي شحال؟ حتى شي فيّ ما يرشى الرجال أرشات ونا اللاّ، الزمان ارشى وزيني اللاّ، زين سودان زمان محال يذبال يا لالال ، يا لالال"

كمية أخرى.. صوت آخر..

"يا ماكادرة واش بيك؟ ياماكادرة واش بيك

تجري حفيانة، تجري، يجروا، يجروا..

يا ماكدرة واش بيك؟يا ماكدرة واش بيك؟
تجري عريانة، تجري، تغتر، . يجروا.. يجروا..
بن عليوى أين؟ يحترق، يحترق
ماكدرة أين؟
تحترق، تحترق
مبروكة أين؟
تحترق، تحترق"

تحترق الكلمات، تحترق الأصوات، تحترق الحكاية، يحترق الحلم وتذوب الرؤيا. كمية أخرى.. مرتطم، متلاطم هذا الصخب الرخو في الرأس، في القلب في عيون ساعتي الميتة المسكون بانتحارات شرخة، ضاجة وهادرة.. أتذكر أنني دخلت الغرفة ورنت في رأسي كلمة الكاتب، لماذا لا تحاول كتابة رواية؟! أنا أكتب رواية؟! وعندما دخلت الغرفة كنت وحدك ، وعندما يكون المرء وحده، طبعا شريطة أن يكون هذا المرء مثلك أو يكون مثلي تداعبه العتمة، لذا داعبتك العتمة، بل دغدغتك دقيقة، انتظرت دقيقة، وعندما دغدغتك العتمة ماذا فعلت؟ طبعا، أنت ماذا فعلت؟! أي هل ضحكت أو قهقهت أو ذعرت أو ارتعشت أو تقيأت أو غضبت أو سعلت أو تذمرت أو تنرفزت أو ذويت أو ذبلت أو ترقرقت أو مؤت أو ضبحت أو صخبت

أو صدمت أو.. أو.. أو.. لم، لم، لم بل تراءى لك سرب الحمام الهائج الذي مر عليك وأنت وحيد بلا زانة كالأشباح العارية، قتلك الإتحاد، أضاعك البوسفور ولعب بعقلك بار الكاميرون، ومن ثم رحت تكتب قائلا بأن حبك لزانة مات عليه الحوت، تطير زانة تطير، مع النسور تطير وخلفتك في قاع الوحدة كالطير المهيض، وقلت فيما قلت من هرب، هرب ومن صعد، صعد وقلت من خطب، خطب ومن صفق صفق وقلت حكم، من حكم ومن سكت، سكت وقلت من خربش خربش ومن اكتنز اكتنز وقلت من طار، طار ومن تمكن، تمكن وقلت من حلم، حلم ومن زمر، زمر وقلت من باع باع، ومن اشترى اشترى وقلت ومن أعطى أعطى ومن أخذ أخذ وقلت من صلى، صلى ومن غنى، غنى وقلت من عاش، عاش ومن مات، مات ثم دغدغتك العتمة بل داعبتك وأنت كنت وحدك وينما أنت وحدك حط سرب الحمام الهائج على رأسك فبال وزق وعاث ورقص ولما تم مهرجان الرقص انتفض فحلك المرعب المتوحش لينطلق شاقا بكارة العتمة كصاروخ جهنمي، ريش سرب الحمام الهائج المتناثر المتطاير يهدئ ويزيد من روعه يكتسحك شلال عارم من الارتعاشات الشهوانية فتبحث في قلبها أي في قلب العتمة عن ثديي زانة الماكدرية التي طارت مع النسور، عن جعبوط ماكدرة التي فقأت عينيها النسور ولو في الحلم ولو

في الحلم وعن بكارة ماكدرة التي امتص حيضها النسور ولو في الحلم ولو في الحلم وتهيج أنت هياجا وترغي رغاء وتعوي عواء وتهذي هذيانا وترقص على جسدك المعصبن المملح المجفف المنشور رقصا وتأكل لحمك المشلح أكلا وتفتل رموشك المسترمشة فتلا وتقطع لسانك شبه الميت بل الميت إربا إربا حتى يوشك أن يغمى عليك ثم تصعق صعقا بعد أن تكون قد ارتعشت ارتعاشا فيقمطك الصوت، في قلب العتمة التي طالما دغدغتك وداعبتك فيقمطك صوت الرب الماكدري الأسطوري أم صوت الأسلاف يقمطك؟ تتكاثف العتمة ويعانق الصوت الصوت وتنثال من محارات العتمة الحلزونية وجوه الأنبياء والقديسيين والشهداء والأحلام والأصداء والأقمار والشموس والنجوم والكواكب والملائكة والشعراء والزهاد والمتصوفة والدراويش وأخيرا وجه الفقيه، وما العمر إلا عمرك، اللوح الطين والمشحاط والأقلام القصبية والسمق والدواة والقلوب الخائفة والعيون المذعورة، النعسانة، الملائكية الشيطانية والحصائر والزرابي وفرحة العواشير وعبس وتولى أن جاءه الأعمى وقل أويحي تأكل قطة حية وجاء ربك والملائكة صفا صفا والحمد (تردد) الحمد ضرب سيدو (يعاقبكم السيد) والعتمة الغارقة في السمق والصوف المحترق احتراقا وثدي زانة الأيسر وإقرأ، إقرأ، إقرأ، إقترب واسجد، لا تطعه، كلا، الزبانية سندع،

ناديه فليدع، خاطئة، كاذبة، ناصبة بالناصية لنسعفن لم ينته، لئن يرى اللّه يأت يعلم، ألم وتولى إن كذب أرأيت، بالتقوى أمر، أو، الهدى على كان إن رأيت، صلى إذا عبدا ينعى الذي رأيت، الرجعى ربك إلى أن، استغنى رآه أن يطغى الإنسان إن كلا يعلم ما لم الانسان، علم بالقلم علم الذي، الأكرم وربك إقرأ علق من الانسان خلق، خلق الذي ربك باسم إقرأ، إقرأ، إقرأ، العتمة مقلوبة، مقلوبة والرأس مقلوب والصوت مقلوب والصدى مقلوب، رأيت الجد، ماكدرة، ومبروكة وبن عليوى الدرويش.. ثم كمية أخرى.. رحت ترسم بالكلمات حمام تن تائه تن، هائج تن مرت، كأنها مرت بجنبك فناجيتها يا حمامة هل تشعرين بحالي وكانت الحمامة زانة، روحها جسد وجسدها روح وبين جسدها الروحي وروحها الجسدي قبعت، عويت وناجيت فلم ترد على عوائك ومناجاتك ولم تعبأ بقبعك فحلقت خلفها ودخلت حمامتك التائهة الهائجة التي سبق وأن مرت على فضاء صدرك فتحولت بين عشية وضحاها حمامة جميلة جميلة تن.. تن،. تائهتن، تن، تن، مريشة تن، تن.. وعشقك الناس وصرت كل الناس وكل الناس هم كل العشق وكل الأحلام وكل الحقد وكل النذالة وكل الخوف وكل الغضب وكل الرذيلة وكل القتامة وكل الوفاء وكل الموت وكل البعث، ماكدرة تبعث أمام عينيك طفلة نزقة

وحكاية ليست ككل الحكايات، حكاية متصوفة رأيتها وهي تقاوم القصر في قاع العتمة بالجنون قلت في نفسك الحكاية لابد كاتبها وإن لم تكتمل وكتبتها قبل الكتابة على جبين العتمة، وكنت في اللحظة تلك أخرى كنت هو وهو أنت وحدث كل ذلك في سراديب عتمة الغرفة، رأيتك في ذاك الذي يشبهك وكنت تدور على نفسك كدودة، مثله، وكنت تصرخ كل ليلة عند اللسع بالبرد الأصفر (ياذا البرد الأصفر الراقص على جسدي كدودة لا تحزن، أنا دودة) الصدى أو بعض الصدى كالردى زن، زن.. زن أنا دود.. دوو دا داا دا.. يصرخ، يكبر الصدى، يتمدد الردى، يذوب الصدى في الردى ويينع الردى من خلال حقول الصدى فيتفجر الشذى إنفجارا عاتيا من أقاحي بساتين نفسك الملتفة على نفسها كدودة، يتلاحم الصدى والشذى والردى، تتناسل الخطوط والدوائر زرقاء، حمراء، خضراء، خطوط الطول وخطوط العرض، دوائر الرعب ودوائر الصمت. للطول والعرض خطوط وللصمت والرعب دوائر، الدوائر والخطوط الطول والعرض، الصمت والرعب لو يبكي فالدمع طويل لو يخبل فالجنون عريض عندما كان دمعه طويلا وجنونه عريضا دار على نفسه كدودة دورانه على نفسه كدودة يثيرك آه، كم يثيرك.. لو يصرخ فالصمت أشهب لو يفني فالرعب أزرق كمية أخرى.. ورحت

تسحر الألوان والوجوه والأصوات، اللون ساحر، الوجه ساحر والصوت ساحر يسحر الأعراس والجنازات، تسحر الأعراس جنازاتها وتسحر الجنازات أعراسها، تسحر البلابل والكناريات والشحارير والعصافير والسنونوات والعنادل والحمائم وتسجنها في شبابيك أحلام معسولة مسحورة، تسحر بدائع الكلام والنغم والأطياف والأشباح من جدائل جدتك، هل أسميتها خديجة.. إذن قلت سمى خديجة بنت المقدم ومن خلالها أردت تخليد ذكرى جدتك الحقيقية التي كنت تموت فيها حبا، كنت وأنت صغيرا تنزل وإياها إلى المدينة، كانت المقاهي تبهرك بينما البارات كانت تبعث فيك الرعب والفزع والخوف الشديد من نار الله.. ثم تشتري لي جدتي الحلوى فتغمرني فرحة طاغية ثم تأخذني إلى ساحة الطحطاحة فأسكر بالحكايات والرقصات البهلوانية، الحلقات تتنافس فيما بينها، السحار العيساوي يبندر للأفاعي المزركشة فتخرج من الصندوق الأخضر العجيب، وترقص، الشيخ القوال مولاي المروكي يطير بالعقول إلى بلاد فارس والهند والسند فتتلذذ النفوس بما تشتهي من غرائب الرحلات.. وجدتك خديجة بنت المقدم قبل الممات قبلتك، اعتقدت أنها قبلتك ولو في الحلم، ولو في الحلم.. وتركت تلك الساعة العتيقة.. وكان لتلك الساعة، تأثيرا كالسحر.. كسحر الصخب.. وهو يرتطم ويتلاطم. هذا

الصخب الرخو في الرأس.. في القلب.. في عيون ساعتك الميتة المسكون بانتحارات شرخة ضاجة وهادرة وفي ارتطامه وتلاطمه لا يشبه هذا الصخب غيرها.. أي نعم غير مسات جنون طوفانها المسجى في صناديق حكايات.. مفكهة.. معسجدة.. مؤسطرة.. استغرق نقشها على لوحة شبابيك الزمن الماكدري.. ألف زمان وزمان..

4. كولاج (2)

عبر الصدمة، اكتشفت الكتابة، اكتشفتها كلحظة مزدوجة، لحظة الأساس الفجائعي بالألم وفي ذات الوقت لحظة مجنونة، مهووسة بالحلم المستحيل لوعي وامتلاك الألم كمعرفة، ومحبة للذي وفر لي شروط الألم بتدميره وخلقه من جديد على مستوى عالمي الذي أدشنه بالمجازات والبناءات اللغوية والأسلوبية.. هكذا كان اهتدائي إلى جزيرة الكتابة عموما وإلى الكتابة الروائية على الخصوص.. كانت أول محاولة روائية لي تحمل عنوان "الجسر" كتبتها وعمري لا يتجاوز 18 سنة، كنت تلميذا في السنة الأولى ثانوي، كتبتها بعنف وهوس، اشتغلت عليها طيلة شهور العطلة الصيفية، تألمت كثيرا خلال كتابتها، كنت أريد أن أتحدى بها رواية "صباح الخير أيها الحزن" لفرنسواز ساغان.. كتبتها عن تلك اللحظات التي كانت تشكل سنوات صداقاتي الأولى أو اكتشافي لمعنى الصداقة التي

تشبه الحب.. عن محمد وعبده وزانة.. عن جسر حي قومبيطة والذي أخذ مجاز تسمية ماكدرة، وعن بحيرة المتصوف الولي سيدي محمد بن علي، وعن سيدي بلعباس الأخرى، بلعباس الطابوهات.. كانت تلك المحاولة غارقة في الأجواء الشعرية المفتقدة إلى رؤية ناضجة.. ومع ذلك كم كنت فرحا عندما انتهيت منها وذهبت بالمخطوط إلى جريدة الجمهورية طامعا في نشرها على حلقات.. بعد صراع مع البواب، تمكنت من مقابلة رئيس التحرير وهذا الأخير أحالني على المشرف على الصفحة الأدبية آنذاك وكان إسمه الأمين الزاوي، وعدني بقراءة المخطوط وعندما رجعت بعد أسبوعين أو ثلاثة إلى الجريدة، قيل لي أن الأمين سافر إلى دمشق ليحضر شهادة الدكتوراه، ولا يعرفون أين وضع مخطوطي.. وكانت الصدمة، وكانت الخيبة.. وكان هذا خلال عام 1978، وإثرها ابتعدت عن الأدب والأدباء ورحت أخوض تجربة أخرى في المسرح، جنبا إلى جنب مع الصحافة والنضال الثقافي في سبيل إعادة الإعتبار للغة والثقافة الأمازيغية والثقافات العربية الشعبية.. وجدتني أعود بعد سنوات من التيه الجميل إلى الكتابة الروائية.. حدث ذلك لأنني كنت أعيش لحظات تشبه لحظات الوحدة المهووسة والشعور أو الرغبة في الجنون والانتحار.. كنت شبه يائس من نفسي ومن الآخرين ومن عقم الإيديولوجيا

ومن الحب المستحيل ومن ثرثرة المثقفين ومن الروتين... كنت أحس حتى النخاع أن شتات الماضي يضغط على ذاكرتي ليحولها إلى أرض مشتعلة، بالخراب، كنت أرى الماضي ليس خلفي، بل أمامي ينتظرني وهذا كان يثير حزني وأعصابي، فأردت أن أنازله عبر ملاذذة الألم، أن أقضي على شبح ديكاتوريته وأعيده إلى موضعه الطبيعي والحقيقي، فكتبت "ذاكرة الجنون والإنتحار أو زانة" كنت فيها عنيفا على صعيد اللغة وعلى صعيد الهدم والبناء، وكان المولود شاذا بالنسبة للموروث الروائي الجزائري (أستثني ياسين وبوجدرة) لم أتحدث فيها عن الثورة ولا عن الأرض ولا عن المكاسب ولا عن المجتمع، بل رسمت من خلالها ملامح هوس، ملامح أنين وملامح جنون ومأساة ذاتية... اشتغلت على موسيقى الكلمات والتكرارات وشبحية الأمكنة والأسماء وأيضا على الجسد.. بعد هذا العمل دخلت الثكنة لأقضي الخدمة العسكرية، وأثناء ذلك بدأت بكتابة رواية "هوس" وكنت أعود إليها من حين إلى آخر.. كانت لعبة بين المحو ومحو المحو، بين التذكر ومحو التذكر، بين محو الكتابة وكتابة المحو.. انتهيت من الخدمة العسكرية في بداية العام 1988، ولم يعد الهوس بداخلي فقط، بل كان الهوس في كل الأمكنة.. كل الأمكنة كانت كتابة صخبا، ودما وهوسا..

– 2 –

.. 16 أكتوبر 1988

".. نحن الصحافيون المجتمعون في جمعية عامة يوم 16 أكتوبر على الساعة الواحدة زوالا بمقر اتحادنا المهني أطلعنا على الإجراءات التي صرح بها رئيس الجمهورية ونطلب بتوسيعها كالآتي :

أ – إطلاق سراح كل المراهقين غير الراشدين.

ب – إطلاق سراح كل الذين ألقي القبض عليهم بسبب آرائهم.

جـ – إلغاء المحاكمات الخاصة ومنح حق الدفاع طبقا للقانون.

1 – نطالب بإطلاق السراح الفوري والغير مشروط لكل المحتجزين الذين ألقي عليهم القبض عشية، خلال وبعد الأحداث المأساوية التي شهدها مطلع شهر أكتوبر.

2 – نندد بالطابع غير الشرعي والمكثف للإعتقالات عند رفع حالة الحصار..

3 – نطالب بوقف كل عمليات المتابعة والتهديد والضغوط البوليسية تجاه المواطنين. كما نطالب باحترام حقوقهم الدستورية للسماح ببعث الحوار الديمقراطي الواسع الذي

وعد به رئيس الجمهورية.

4 – نطالب بالعفو الشامل على المواطنين الذين حكم عليهم في المحاكمات الخاصة.

5 – ندين بشدة استعمال التعذيب والوشاية واللجوء إلى العنف الجسدي والمعنوي ضد المواطنين.

6 – نندد بالعواقب والصدمات التي انجرت، عن مثل هذه الممارسات على نفسية شبابنا وعلى مستقبلهم وأذهانهم. ونبقى واثقين من أن الجو الديمقراطي هو الوحيد الكفيل بأن يكون مطلعا حيويا للحفاظ على الإستقلال الوطني وتجسيد التطلعات العميقة لشعبنا إلى الحرية والتقدم والعدالة الاجتماعية".

– 3 –

قال الحارث بن أسد المحامي : "..توهم نفسك في نزع الموت وكربته وغصصه وسكراته وغمه وقلقه، وقد بدأ الملك يجذب روحك من قدمك فوجدت ألم جذبه من أسفل قدميك، ثم تدارك الجذب واستحث النزع وجذبت الروح من جميع بدنك، فنشطت من أسفلك متصاعدة إلى أعلاك حتى إذا بلغ منك الكرب مبتغاه وعمت آلام الموت جميع جسمك". وقلت : "..توهم

إنها ليلة ظلماء، سوداء تحجب عنا نور القمر وحتى النجوم، إنه سواد قاتم لا نرى فيه بعضنا البعض الكل يقف مذهولا، يخاف أن يخطو خطوة، فيجد نفسه في خندق من الخنادق، أو يتلقى رصاصة من أحد البنادق" إننا لا نرى لأنفسنا ضوءا ولو خافتا نستدل به الطريق!! إننا لا نرى شيئا، ونسمع أشياء إننا نعيش بسمعنا دون بصرنا.. يقولون إن ثقبا أصاب السفينة، أقالوا القائد محملينه سبب خرقها.. وغيروه بقائد آخر كان على متن سفينة أخرى.. أقنعوه! ولما وضع يده على الثقب، اكتشف ما اكتشف فقتلوه بما اكتشف!! والسفينة أوشكت على الغرق، صراخ الأطفال، عويل، أشياء وأشلاء، وملك الموت يطوف في جميع أنحاء السفينة ويقبض الأرواح لتصعد إلى بارئها. قلق وخوف وجزع وفزع وهلع.. يخيم على أهل السفينة، هناك من هجر، ومنهم من انتحر، ومنهم من ينتظر.." وقال المحاسبي صاحب "التوهم" "..فتوهم أصوات الخلائق وهم ينادون بأجمعهم، منفرد كل واحد منهم بنفسه، ينادي: نفسي نفسي، فلا تسمع إلا قول نفسي، نفسي.. فيا هول ذلك وأنت تنادي معهم بالشغل بنفسك والاهتمام بكلامها من عذاب ربك وعقابه، فما ظنك بيوم

ينادي فيه المصطفى آدم، والخليل ابراهيم، والكليم موسى والروح والكلمة عيسى مع كرامتهم على الله عزوجل وعظم قدر منازلهم عند الله عز وجل، كل ينادي : نفسي، نفسي، شفقا من شدة غضب ربه، فأرن أنت منهم في أشفاقك في ذلك اليوم واشتغالك بذلك اليوم وبحزنك وخوفك؟" وقلت : "..توهم أن في تلك الليلة، كل أبناء ماكدرة خرجوا من بيوتهم وعلى وجوههم الحيرة والفضول وأنا كنت في الشرفة، وسألت أحدهم "مالكم خرجتم من بيتوكم؟" رد علي "ألم تسمع؟" قلت : "لم أسمع، ماذا حدث، الارهابيون هجموا على ماكدرة" قال : "جن الأنترنيت" قلت : "ومن هو جن الانترنيت؟" قال : "جاء من بلاد الشرق" ثم ولى هاربا، صمت لحظة واحترق الفضول في أعماقي فقررت أنا أن أخرج من البيت وانضممت إلى تلك الجموع المتسائلة عن سر جن الانترنيت.. وفجأة وجدتني إلى جانب عجوز قبيحة الوجه، جعداء الشعر وسمينة.. ضربتني على كتفي وقالت : أنا أعرفك يا هذا" قلت : "أنا لا أعرفك يا هذه" قالت : "ماذا تعمل معنا" قلت : "أنا مثلك أريد أن أعرف جن الأنترنيت" قالت : "ولماذا تريد أن تعرف جن الانترنيت" قالت : "لا أدري، لكن أريد أن أعرف جن الانترنيت" قالت : "يقولون أنه في كهف الخارج" ثم

اختفت ولم أعد أراها.. كانت الجموع غفيرة، ضعت في تلك الجموع، ورحت أسير مع تلك الجموع إلى الكهف الواقع في مخرج الحارة.. وعندما وصلت رحت أهتف مع الهاتفين "جن الانترنيت جن الانترنيت" لكن شخصا غريبا وقف على صخرة كبيرة وأشار بيديه أن نصمت قليلا، فصمتنا ثم راح يتكلم "الآن سنكشف عن حقيقة جن الانترنيت.. هو جن جاءنا من الخارج، البعض يقول أنه جاء من الشرق، والبعض الآخر يقول أنه جاء من الغرب.. هو مختبئ في هذا الغار وكل المصائب التي حلت ببلادنا بدءا بالارهاب وانتهاء بأعمال الشغب كانت بسببه.. وفجأة قاطعته أصوات "الموت لجن الانترنيت، الموت لجن الانترنيت" ثم ظهر شخص مزركش بالنجوم وأعطى إشارة الهجوم على الكهف، لكن ما أن بدأ الهجوم حتى طار جن الانترنيت كالوطواط وراح يقذف بشهب عجيبة.. ثم سقط على الأرض وراح يقول : "أنا منكم وإليكم"، والحق، الحق انتابتني رغبة جامحة لخنقه، وما إن اقتربت منه حتى تحول إلى سراب.. وعندما أردت القبض على السراب أصبحت كل ذلك السراب".. وقال صاحب "التوهم": "..فتوهم قلبك في الجنان.. وتاج الدر والياقوت فوق رأسك وأكاليل الدر مفصصة بالنور على جبينك وقد أضاءت الجنة، وجميع قصورك من إشراق بدنك ونور وجهك وأن تعاين من صفاء

قصورك جميع أزواجك وخدمك وجميع أبنية مقاصيرك، وقد تدلت عليك ثمار أشجارك وأطردت أنهارك من الخمر واللبن من تحتك والماء والعسل من فوقك وأنت جالس مع زوجاتك على أريكتك.." وقلت : "..توهم أنني خرجت ذات مساء من البيت لأنني شعرت بالضيق والقلق، لم يكن أحد في الشارع، مشيت لوحدي أتأمل العمارات الصامتة الغارقة في إضاءاتها الشاحبة، وأنظر إلى القطط والكلاب الشريدة، الحوانيت مغلقة، المقاهي مغلقة، البارات مغلقة، الأعمدة الكهربائية وحدها واقفة في مثل ذلك الشحوب.. أنظر على يميني، أنظر على يساري، لا أرى إلا ظلي يتمدد، يتمطط ويتقلص، يداعبني وأداعبه، ويختال حولي وأختال حوله.. أنظر إلى البيوت.. أبوابها موصدة.. أنظر إلى البلدية ومقرات الأحزاب، كلها غارقة في الصمت والنوم، أحسستني للحظة الرجل الأخير في العالم.. تهيأت لي عدة صور وحالات واجتاحتني مشاعر غريبة كلها توحي بلحظة نهاية العالم، كنت أشعر برغبة جامحة في التحرر من ذاتي ومن أثقال الحياة اليومية.. الشوارع والممرات مليئة بالأوساخ، تمنيت أن أصرخ وداعبتني مثل هذه الرغبة، لكنني لم أصرخ، اكتفيت بركل كل ما أجده في طريقي من معلبات فارغة.. ثم استوقفتني زجاجة مرمية على قارعة شارع ديدوش مراد، اقتربت من الزجاجة، كان

لونها أخضر، لم أصدق. ما بداخلها كان يتحرك، ويتكلم ويقول : فك قيودي يا أخي، حررني يا أخي.." طغت علي الرهبة والدهشة، تأملت الزجاجة من جديد وصوت غريب ينفذ منها كأنه صرخة، كأنه استغاثة، فتحت عيني، تصاعدت دقات قلبي والصوت يرد "حررني" فتحت الزجاجة وإذا بدخان كثيف يخرج من الز جاجة، يصعد إلى السماء، وإذا بدوي تقشعر له الأبدان ويصم الآذان، سقطت أرضا، والدخان يصعد إلى السماء، ثم بعد لحظة دوار وجدتني أمام أنثى ساحرة الجمال، تخلب العقل والفؤاد، سألتها من أنت؟ قالت : أنا جنية سأسكن قلبك وروحك وجسدك.."، عاهرة.. أنا لا أصدق كل هذا..

– 4 –

زانة..../ "منذ سنوات مات والدي، كنت في الجبل، عندما نزلت ورأيت المدينة، قلت أزوره، كان وحيدا في مقبرة وسخة ومتوحشة، جلست أمام قبره ساعتين أو أكثر. كل الزمن الماضي انبعث من تحت التراب، تذكرت كل الذين ماتوا وأنا صغيرة، جدي، جدتي وعددا لا يحصى من المعارف والجيران والجارات، أشكال ووجوه متعددة من الموت، الموت مرضا والموت غرقا والموت في الحوادث

والشجارات الصاخبة.. المقبرة موحشة ومتوحشة كما الدنيا، مثل الجزائر.. الموت والقاذورات والكلاب الساغبة، القبور كالطحالب، يدخل الناس يحملون على أكتافهم النعوش، ينفضون أيديهم من أنفسهم، صمت كريه ونظرات زائفة، كلهم يتظاهرون أنهم تذكروا الله، لا ينظرون إلى بعضهم، عيون نحو السماء وأخرى باتجاه الأرض و الدود.. يجد طلبة القرآن متعتهم و يكتشفون في هذه اللحظة الميتة سلطانهم و يمارس الفقهاء نكايتهم بالآخرين في حضرة الله حتى النشوة، ثم ينتهي كل ذلك في حزن بارد و مؤلم مثل نهاية لحظة رعشة الاستمناء.. في السماء غربان تحلق وغيوم داكنة، وكان جدي يكره الغربان و يحبها في نفس الوقت، لونها كان يثير فيه تطير لا مثيل له، وأنا أيضا أصبحت مثل جدي أتطير من الغربان.. كانت الجبال مليئة بالغربان، يوم قتلوا عشيقي، حلمت ليلتها بالغربان.. حاصروا حسين في وادي الآخرة و أمطروه بالرصاص، تحول جسده إلى خرقة إلى كتلة من الرعب القاني، كانت السماء داكنة و عامرة بالمروحيات و الغربان.. ورثت عن جدي كراهية و حب الغربان في نفس الوقت. كيف لنا أن نحب الشيء ذاته و نكرهه في الوقت نفسه!؟ سمعتهم يصرخون (اقتلوا أبو هريرة، أقتلوا أبو هريرة).. أبو هريرة حسين، جاؤوا يحملون جثته، كانت خرقة.. و جثث أخرى.. كانوا

يحملونه على لوح يشبه النعش، هرعت نحوهم، اعترض طريقي أمير الجند و نهرني لم أبك.. كل الدموع تحجرت.. شعرت بوالدي يرقبني من تحت التراب.. عندما التحقت بحبيبي، قال أبي الموت لها، الآن أنزل من الجبل، أبي مات و أبو هريرة مات"...

- 5 -

أصوات...../ "1: الظلام كتاب مفتوح سطوره، حروفه، كلامه من نار.. جسمك كتاب مفتوح يذوب قدام عيني، أشكون يسمعك!؟ ينحرق، يروح في السكات، أشكون يتشوق لك؟! شمعة الناس راقدة اليوم، الغربان ڤاعدة التاريخ يروح، أيجي، يولي وما يتكررش ايروح غيمة، إيجي كلمة، ويولي همة.. شمعة أنا أشكون؟! أنت أشكون؟! أنا صوت.. أنت لون.. أنا وهم.. أنت حلم.. أنا همسة في جوف الليل مهوسة أنا موجة مغمومة على شط وحيد محموم.. أنا شهادة.. أنا موت.. أنا انتحار.. أنا قنوط.. أنا حرف.. أنا بياض.. أنا سواد.. أنا شهقة.. وأنت أشكون!!؟ أن هبال.. أنت الحكمة لابسة برنوس لهبال.. أنت الجسم، وأنت الروح وأنت القعود وأنت القيام.. أنت، أنت وأنت لاخر، وأنت لاخر، وأنت، أنت أنت

الثاني، وأنت بياض النص.. أنت اللعبة.. أشكون أنت؟! أنت وهم القمة أنت العمر الفاني، رايح هكذا ما مخلي كلمة.. أنت نار، أنت وهم بلاد، كلام، حمى ترقص.. أنت لعبة، أنت هبلة في لعبة.. أنت لعبة في هبلة، أنت هبلة في علبة أشكون أنت؟ وأشكون أنا!؟ أنت صيحة في جوفي.. وجوفي بحر أنت البحر في الجوف.. أنت جوف في بحر.. أنت في وأنا فيك..

- 6 -

7 انتاع صباح/ خرجت الباب وراي/ غلقتو بالمفتاح/ وضعته في جيبي نسمة هبة ريح/ صفعتني/ دهمت صدري اقفلت القمجة، طلعت الفيستة تكمشت تنفست تمشيت..

السما ما كانتش زرقا الشمس غايبة لونها بارد النهار لسانه ناشف الساعة معلقة في السماء حابسة الناس ماشية/ تجري/ العيون مفتوحة/ القلوب معمية وقفت قدام المحطة.. ربع/ نص/ ساعة جات.. عرقت.. غرقت فالروايح.. تخرج الروايح/ قاصفة/ تعمي العينين الباص اتقيانا قدام المحطة اتنفست/ تمشيت/ الدنيا حابسة والوهم ايدور/ ايدور/ ايدور

- 7 -

طاخ.. طاخ.. طاخ.. وأيضا طاخ.. طاخ.. طاخ..

"جريمة نفذها إرهابيون ولاذوا بالفرار.."

- 8 -

الإمام علي بن حاج : "أخي المسلم الكريم : كذب من قال إن دولة الإسلام الخالدة سهلة القيام والحق، الحق أقول إن دولة الإسلام لا تقوم إلا على صبر المتاعب والتضحيات الجسام التي تثقل الكاهل وتنوء لحملها العصبة أولي القوة ولقد اتضح بما لاشك فيه أن الإضراب السياسي السلمي الذي دعت إليه الجبهة الإسلامية للإنقاذ وظل بحمد الله سلما طيلة أثني عشر يوما استحالت فيه الساحات العامة إلى أماكن يعبد الله فيها فلا تقع عيناك إلا على مصل بين يدي ربه ساجدا وراكعا وتاليا لكتاب الله العزيز المجيد والدموع تنسكب من عينيه حارة، يا لها من أيام دعوة، وأخوة وتحية وسلام ووئام إلى أن وقع العدوان الغادر والاجتياح الخبيث على ساحتي أول ماي وساحة الشهداء ليلا وهنا كان لزاما على المسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم في حدود إمكانياتهم فصمدوا وأبدوا شجاعة فائقة واقداما منقطع النظير ودافعوا عن أنفسهم دفاع الأبطال فكان منهم من سقط شهيدا دفاعا عن دينه ومنهم من جرح جراحات

متفاوتة في الخطورة وهم محتسبين للّه تعالى والسمة تعلو وجوههم والإيمان يقودهم

.. جوان 1991.

...

– 9 –

الجنرال خالد نزار : "ومهما كانت الفكرة التي يمكن أن نكونها عن النظرة السياسية لرئيس الجمهورية فإنه في نظر كثير من الضباط الواعين بخطورة الوضع الذي كان يهدد البلاد أن الاستقالة التي قررها الرئيس الشاذلي بن جديد كانت موقفا سياسيا ذا بعد كبير مكن من تجنب طريق المغامرة".

– 10 –

تذييل : "في منتصف نهار أمس اهتز شارع العربي بن مهيدي لانفجار سيارة مفخخة كانت متوقفة قرب نصب الأمير عبد القادر، وغير بعيد عن مقهى اعتاد أن يحتضن في ساحته عشرات الزبائن، توقيت الانفجار والمكان معروف بازدحام كبير والذي يعتبر بحق ملتقى للقادمين من كل الولايات، لم يكن ليترك أي أمل أو فرصة لتفادي حصيلة ثقيلة من القتلى".

- 11 -

زانة : "وصلت إلى فندق ميرامار بعد ساعة ونصف أو أكثر. كان الطريق مزدحما إلى درجة الاختناق، ظل السائق طيلة المسافة يكيل الشتائم لله، للناس وللحكومة. ويعتبر هذا البلد منسيا من الله، ولم يعد بلدا. لاحظ أن ليس لدي أية رغبة في الكلام، فظل يتكلم وكأنه يتكلم الى نفسه وكأنني غير موجودة. الشمس تبدو شمطاء في مثل هذا الطقس البارد والمريض، استسلمت لنوم منقطع ومثير للانزعاج، فتح الراديو واختلط صوته بصوت الراديو وأبواق السيارات، يقول أنه قضى طفولته في تيبازة، في ذلك الوقت لم يكن فيها ملهى وفندق ميرامار. أضاف أن تيبازة تغيرت، لم تعد مثلما كانت، كل شيء فيها تشوه، الناس والطبيعة كلهم تشوهوا، فقد البحر بهاءه والسماء زرقتها والبشر طيبتهم، أصبحت تيبازة مرتعا للقتلة والوصوليين واللوطيين والعاهرات، تيبازة لم تعد تيبازة، قال. سأل (أنت من تيبازة؟) لم أجب. لم ينزعج، فهم الرسالة وغير الموضوع، لا أذكر ماذا قال بعد ذلك. فقد كان يتكلم ويتكلم ويتكلم، أنا استسلمت للوسن، فتحت عيني أمام حاجز للدرك، طلبوا منه أوراق السيارة وأنا أيضا، ظل رجال الدرك ينظرون إلي بخبث ونهم، طلب مني أحدهم أن أنزل ـ ابتسم وراح كأنه يريد أن يلتهمني. قال

(أعرفك؟!) قلت (ربما) قال (لهجتك تدل أنك لست من هنا) قلت (أنا لست من هنا في الأصل). قال (من أين؟) قلت (ماكدرة). ضحك، لا أعرف الكلب لماذا ضحك. قال (أنا من سوق أهراس). قلت في قلبي (أهلا برب سوق أهراس) قال لي السائق بعد أن أقلعنا من جديد (ماذا كان يقول لك ذلك الـ..) قلت (والو.. والوا قال لي والو..) ضحك سائق الطاكسي حتى خلته سيجن. فجأة اجتاحتني رغبة جامحة في التدخين. قال (هات لي معك واحدة) ورحنا ندخن، كانت عيونه تلمع وهي تحدق فيّ في المرآة. وجدت روزا التي تقتسم معي الغرفة جالسة علي السرير وفي حالة شديدة من القلق والتوتر قالت بحدة (تأخرت يا زانة، تأخرت يا زانة) قلت (الزحمة، ماذا أفعل، كان لابد أن أرى أبي واتحدث إليه، ولو كان تحت التراب، ولو كان تحت التراب)، قالت (أنت مجنونة يا زانة) ثم ضحكت وراحت تخلع في ملابسها.. دخلنا سويا إلى الحمام، راحت تمسد جسدي وأنا أيضا رحت أقبلها.. كم كان جسدها ينبض.. عدنا إلى السرير، كانت عارية وأنا أيضا. كنا في غاية السعادة، حاولت أن أتفوه لكنها وضعت شفتيها على شفتي وراحت تلاعب حلمتي بلسانها اللاهب.."

5. عنف في الدماغ

يغزوني الصخب وتستبد بي الثمالة فبدت المقاهي والسيارات وكأنها تشطح، وكأنه في دردبة ديوانية وكأنني أسكر وكأنني أجوب شوارع ماكدرة وأريج الطوفان واللهب القدسي يكتسح الدماغ..

وأيضا : سقطت على ظهري أم على صدري؟!

وأيضا : فر الزمن مني، وحبيبتي تطير.. كانت طيفا، آه.. أناديها، تهرب من بين أناملي الأشياء والمدينة تركض والأرض اسفنجية والركض متمايع كأمعاء الشمس المنداحة وأحسني مشلولا غير قادر على حبسها بين الأنامل فهي تفلت والزمان يفلت، البخار يخنقني، آه، إختناق فالدخان يخنقني والأصوات تتباعد وتتقارب والوجوه تتمطط وتتكور والقصائد تتهاطل وطنين العصافير ينكح ميوعة الشمس وأريج الطوفان والحريق يدمدم في متاهات الدماغ والمؤسسات تشتعل يطفو الزمن كطوافة والجسم السجين

المتثاقل يريد التحرر من الجسم السجين.. ثم يتدفق كل شيء من خارج الغرفة، ضجيج الحافلات وعربات الشحن ودبيب الأرجل وحزم الشمس العقربية التي تلدغ ومحاولة شبه يائسة في تلمس لحم اليقظة القنفدي أو الضبي وفتح العينين بصورة اعتيادية، أرخيت مفاصلي لحظات وغمغمت بداخلي، ثم بصقت، كانت الرائحة مقيتة، بينما شكل على الأرض الجافة كحلقي اليابس لوحة بيكاسوية تمنيت من أعماقي لو تمتع احميدة برؤيتها بعد أن يكون قد امعن النظر فيها، فربما تلهمه بنص يكتب جسده فيه. والساعة كم؟ تقلبت في فراشي، استيقظت وكأني لم أستيقظ، عنف في الدماغ وكابوس انقض علي ليغرقني في بحيرة زمن بدائي، شائخ، مترهل الشوى والأصوات والروائح والأصداء والخيالات المتشابكة المستطيلة وأضغاث الأحلام السائلة دوائر، دوائر على شكل صور وكلمات ومشاهد يتداخل في أحشائها البلورية الرغبة وبصورة والحق يقال غريبة، مدهشة وجهنمية تبعث على الأرق الكاوي والقلق الخفي الصرد المتمايز دون جدل وقلق المنتحرين سدى أو عبثا أو فعلا مجازا النغم الطيفي المبلول بقطرات ندى العواء الحقيقي الغابي الندي وأي ندى! بل وأي نغم طيفي! في ذلك الصباح المتمسمر الذي استيقظت فيه وكأني لم استيقظ من كابوس عجيب المذاق أغرقني عميق الغرق في لجة الطفولة المخملية

المسكونة بالهوس فتمتمت كالمتذمر ومكان حدوث التمتمة كان بين الشفتين طبعا رغم أنهما كانتا يابستين، تمتمت فقلت لعن الله إلى يوم القيامة الأدب وعندما أقول الأدب فأنا واع كل الوعي بذلك بل ومسؤول كل المسؤولية عن ذلك فهذا المسمى "الأدب" لن يجلب لصاحبه غير الشؤم والقهر والطوى والتشرد والنبذ والجنون والانتحار والخبل. كم أديب جن؟! كم أديب انتحر ثم كم أديب خان وامتلق وخنع وانتحر وإن لم يذق الجسد طعم الموت، قلت لعن الله الأدب والكتابة إلى يوم القيامة، في حين وأنا أقول هذا يقع ضوء شمس صرصرية تحاول اكتساح الغرفة من منافذ القرميد المهشم منذ زمن طويل وكأنها جحافل الجيش العرمرم الذي دخل ماكدرة عنوة ذات وقت سحيق.. وطبعا.. تقلبت من جديد في فراشي المحموم البارد وقلت في قلبي (أضرب عن اليقظة) وحاولت رغم الدبيب والأزيز والصخب المتنامي كالنبات المتوحش العودة إلى النوم وانتقم أشد بل أعتى الانتقام من كل الكوابيس السافلة كالسلط المتبرجة التي بل ولا تزال تقض مضجعي وجعل حبسي في الغرفة جحيما يكاد لا يطاق ولكنني ها أنا أتحمل حالي، ها أنا أطيقه وأقلبه مليا ثم أسعى لتسجيل أهم عناصره في رأسي قصد تفكيك الرموز والطلاسم وتشريحها فعلني أصل إلى مسببات (ومتى ظهر السبب بطل العجب)، بؤ/سي النف/

سي والاجتما/عي والرو/حي.. ومن عوائي تنبع الذكرى طافحة، تنبلج الحكاية تلو الحكاية (هل أنا بصدد كتابة حكاية داخل حكاية؟). أرسم ماكدرة الأسطورية، ماكدرة النائمة تحت طبقات الزمن الغابر السميكة.. ماكدرة في زمن الغزو.. أراها تصرخ، أراها وحيدة، أراها عارية أمام الغزاة.. والصوت ينادي، والصوت يصرخ مفزوعا: هاهم جاؤوا. هاكوا المفاتيح، السمع والطاعة، هاكوا المفاتيح - أغلق الباعة الصغار حوانيتهم وجلدوا انتقاما من الجفاف زوجاتهم القانتات الطائعات الحافظات فروجهن - هاكوا المفاتيح، السمع والطاعة، هاكوا المفاتيح ـ ذبلت رباع ماكدرة واصفرت القمور، هاكوا المفاتيح ـ ناح الحرف والسمع والبصر ولبست الحجارة الحداد، هاكوا المفاتيح، هاكوا المفاتيح ـ وأنا رأيت في الحلم مثيلي، ورأى الدم والرعب والعراء والشبق والرقص والنهر والدود والصمت والرماد والجنون والانتحار والعشق والغدر والخدر والشجر والتراب واللون والبعث والعرق الحار والبارد، الهادر، المسلول، الأسود، الأبيض، الأخضر، الأصفر ثم عرق، عرق، عرق فأتقلب من جديد في فراشي (في فراشي عرق) المحموم (عرق فأنا محموم) البارد (عرق فأنا بارد) وقلت في قلبي (عرق مهدور، عرق مسروق) (أضرب عن اليقظة) وحاولت رغم الدبيب والأزيز والصخب المتنامي (العرق المتنامي كرأس المال

المتنامي والعهر يتنامى في قلب ماكدرة) النبات المتوحش (عرق متوحش ينضح في المقاهي، عرق متوحش فأنا ، أنت هو، هي، هم، هن، أنتم، أنتن، جميعنا مقهورين) العودة إلى النوم (فأنا نائم) وانتقم اشد بل أعتى انتقام من كل الكوابيس السافلة والسلط المتبرجة (عرق، سلطة، تبرج) التي قضت وتقض مضجعي وجعل مكوثي وسط جدران الغرفة جحيما (العرق، الذكرى، الجحيم، سيتهاطل الجحيم من مسام الذكرى الطفولية فأعرق، يتلفع الجحيم، أعرق ـ بالروائح والألوان الكتاتيبية والآيات القرآنية المتزوبعة المتلاصقة المتداخلة (...يوم تقلب وجوههم في النار.. قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم.. هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن.. لآكلون من شجر زقوم فمالئون منها البطون، فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم.. خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه.. سأصليه سقر، وما أدراك ما سقر، لا تبقي ولا تذر.. وفتحت السماء فكانت أبوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا إن جنهم كانت مرصادا). حالي لا يطاق، الكابوس لا يطاق.. الجحيم لا يطاق.. وأنا تحملت الحال، تحملت الجحيم، تحملت الكابوس، قلبته مليا (مليا، أغوار الغرفة الضبابية، تأملت روح مثيلي المسجى أمامي على سرير من

رماد، رماد بارد وهيولي وكان مثيلي وحيدا عبر الورق والمداد والضباب يدور على نفسه (هل هو أنا؟) كدودة، ومن أذان الجدار الصامت الكئيب انداحت أغنية بربرية متزمجرة، متكتمة ومن داخل الزمجرة والتكتم تفتقت الصور وثار النقع والأصداء وتفجرت الذاكرة متصدعة، وجوه وأصوات وأشباح ـ عقبة بن نافع، الفتوحات الأسطورية أم الكاهنة؟! هديل الحجل الموشم، السيوف، الدخان، طارق بن زياد، الأندلس، اللؤلؤ المكنون والسر المدفون وحدائق الأعناب والتفاح والموشحات والنقوش والزخرفة والقصور ومفاتن الجسد والسقوط وكريستوف كولومب والعالم الجديد وتشرد المسلمين وشبح ابن خلدون وفصل في أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصفة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة، والغرب والتفكك والدم والقراصنة والغبار القبلي والباب العالي ودايات وأعوان وبايات واحجية المروحة. المروحة وسيدي فرج ثم 1848 وثورة الصالح بوزيان ثم هذا النسيج ـ "فرخ الحمام اسعاني يحميك يابن الدودان توصل الباي الصحرا، سلم عليه بوزيان بسم الله نبدا القصة صارت في آخر زمان هذا الروم جار علينا ايدور يرفد بوزيان بوزيان راه واعر، ماهوش مهمول للخزيان ثم، ثم، ثم = تمرد، انفجار، اغتيال 1872 تمرد، ها.. بسكرة// ها.. توقرت// ها//

ورقلة 1879 ها.. الأوراس، ها الأوراس، ها الأوراس.. 1881 ها.. الجنوب الوهراني.. الوهراني.. الوهراني.. 1882 تمرد.. هاالمزاب.. ها.. ها.. المزاب 1893.. اغتيالات.. اغتيالات.. اغتيالات

القبائل 1889 1886 ـ 1894. 1077 ع ا غ تيال

1914 حرب حرب حرب ثم الهجرة
الميلاد ميلادك يا نجم العمال والشمال
الإفريقي كان نجما

راية : "أصبح داخل فلخدامه ومسندك داير لعلامه شيوعي منجل ورزامه من رمشات العين ايثور ذا الفلاحة راحوا اتهلكوا والخدامه امشاوا أدكوا والتجار معاهم بركه هذا الشعب أضحى مغدور لمصايب عنو تتغلب كل نهار ايجي تتقلب حكم الدكتاتور يخرب يسقط حكم الدكتاتور". ثم النهر وكذلك، الحلم.. الحلم الذي يشبه الكابوس.. ويشبه كتابة الكابوس وكابوس الكتابة. رأيته، مثيلي، كان يرى بينما كنت أعرق واتقلب (املؤوا هذه الفراغات وردوا بعض الكلمات إلى أصلها من فضلكم) من جـ.... في فرا... المحـ... البارد وقلت في قل... عرق، عرق، مهدور مسروق أضرب عن اليقظة عن وحا... رغـ... بيب.... زيز...

و.... خب... المتناثر... العرق المتنامي كرأس الـ... الـ... نامي في قلب... كالنبات المتوح. عرق عرق توحش في المقاهي وأنا عرق أنت متوحش وهو ينضح وهي عرق أنتم مقهورون وهم مقاهي أنتن النوم إلى العودة فأنا نائم وأنت... أشـ... بل أي... أنت..../ ..../ ساقلة/ سلط/ تبرج/ السلطة التي قضت. تقض مضجعي (أو مضجعك أو مضجعه أو مضجعنا) وجعل حالي جحيما (أو حالك جحيما أو حالنا جحيما) فيتهاطل، يتهاطل ماذا؟ (أجب) من مسام ماذا؟ (أجب) فماذا حدث؟ الجحيم، الروائح الألوان الكتاتيبية، الآيات القرآنية المتزوبعة المتلاحقة المتداخلة، ما بها؟ (أجب) سور النتف القرآنية بصدد الجحيم (أجب) هل حطت عليك حمامة بيضاء (قد تكون روحي، قد أكون أنا) بل مبرقشة بفيض من الألوان الزغبية ورأيتني سجينا في غرفة.. ثم تصور ماكدرة في زمن الغزو.. ثم كل شيء، كل العوالم، كل الأحلام، كل الكوابيس تتعرض لموج المحو. ثم انتصب أمامي باب، وفيه فتحة.. اقترب منه وأطل من خلال الفتحة.. ماذا أرى؟!! أرى غرفة كبيرة غاصة بالصناديق العجيبة والخزائن الاسطورية والحيوات الطيفية والأروقة المستقيمة الطافحة بالمغاور الياقوتية والثقلاء أراهم يقدمون من بعيد/ جاء الثقلاء الغرباء على متن السفن الحربية، بل وعلى متن

الطائرات الحربية.. كل ذلك كان وراء الفتحة، فتحة الباب الغارق في الظلام وفي ضباب الظلام..

سؤال : بماذا كانت تزخر السفن والطائرات؟

ـ بالعشق والحب..

- صفر

ـ بالشمس والقمر

- صفر

ـ بالاحلام الطفولية

- صفر

ـ بالحياة

- صفر، صفر

ـ بالحضارة، العلم والتكنو

- صفر. صفر

ـ بالـ ؟

- جنس

ـ ثم بالـ

- جنس، جنس، جنس

ـ ثم؟

- ثم هل حطت عليك أو عليها أو عليكم حمامة بيضاء بل مبرقشة بفيض من الألوان الزغبية فرأيتموني أو رأيتم

مثيلي؟ قولوا هل حطت؟ على رؤوسكم هل حطت؟ فأنا على رأسي، بل على رأس قريني حطت حمامة. ثم هل ترامى إليكم أو أمامكم الصوت.. أنا ترامى.. وكان بعض الصدى كالردى "لاتح.. تح.. تح زن... زن... زن أنادو دوو دووو دا.. دااا... دااا." ويتلاحم الصدى والشذى والردى تتناسل الخطوط والدوائر زرقاء حمراء، خضراء، خطوط الطول وخطوط العرض، دوائر الرعب ودوائر الصمت. "ومن دوائر الصمت والرعب تناسلت حكاية، حكاية داخل الحكاية.. حيث انتصب الفراغ كالعملاق، ها أنا أراه شاهقا، تائها، جذوره في السماء وأغصانه متدلية في غياهب قلبي الحزين، ملامحه كأنها منبثقة من محيا قرينك الزائغ النظرات، الناتىء الأنف، الزئبقي الجسد. العالم حولك عامر بالفراغ الجثة (جثة من؟) أيضا ها أنت تراها تكتسح اللعبة، تكبر وتظهر حينا وتختفي أحيانا أخرى. كنت نائيا عن اللعبة، بعيدا عن الجثة عندما سمعت صوت المخرج (هل أنت ممثل أيضا؟) يقول (دع الجسد، أجل دع جسدك يبتعد عنك، دع الجسد وشأنه، هو مستقل عنك، هل فهمت مقصدي، أنت الآن بدون جسد، أنت لا جسد، أنت في هذه اللحظة المجردة، مجرد من القلب، من الإحساس ومن كل أطرافك، أنت مجرد نقطتين تبحلقان في الظلام يغزوهما النور، والآن أنتبه جيدا، حاول أن تنسى كذلك بأنك مجرد نقطتين تبحلقان في

الدماس، إنس أنك مجرد نقطتين ضائعتين في بيداء الركح الميتة ومشدودتين شدا إلى الجثة التي تكبر وتظهر حينا وتختفي أحيانا أخرى). في القاعة يجلس المخرج منتفخ الكرش إلى جانب الفراغ ذي الوجه السلوقوي، سيجارة تلو السيجارة، هو يدخن. الدخان خيوط متشابكة عنكبوتية الشكل يتصاعد في عنفوان ثم يتلاشى في متاهات يعبوب أنوار البروجيكتورات. الكاتب (يكون احميدة؟) لم يأت هذا المساء، رأسه مفلطح مثل قدميه، لسانه شديد الحمرة ورقيق كأنه لسان سلحفاة عجوز، عندما يتكلم يتطاير الرذاذ من فمه شبه الأدرد. البارحة ضحك الفراغ من زعافه، والبارحة أيضا استبد به غضب أرعن.. زعق في وجهك المخرج منتفخ الكرش (هذه الجثة ليست جثتك) خارج الصالة أخبار الدم، القتل، السيارات المفخخة والجثث تكتسح الفراغ. المخرج يزعق، يتطاير الرذاذ من فمه وفي الخارج أيضا يتطاير الفراغ دما، جثثا ونواحا.. يدخل الكاتب الصالة، يجد نفسه وجها لوجه مع المخرج منتفخ الكرش، المخرج دائما يزعق. جثتك لا تكبر جثتك لا تظهر جثتك لا تختفي هي لا تكبر، لا تظهر، لا تختفي جثتك خلف النص جثتك لاجثة. هي ظاهرة، هي غير متعفنة، هي مسك، هي نور، هي إحساس ينبثق من وراء المكان، من وراء الزمان، صرخ الكاتب (أنت شوهت الجثة..) صرخ في وجه المخرج (جعلتها تغلي بالديدان، تغلي بالقيء.. أنت

اعتديت على بكارة الجثة.. أنت خائن). في ذلك المساء خرجت الصحف إلى الناس الذين كانوا خارج الصالة تحمل نفس العناوين على صفحاتها الأولى.. ورد المخرج على الكاتب (أنت مجنون، أنت كاتب ردىء، مهمتك انتهت. الآن جاء دوري لأصيغ كتابة النص من زاوية ركحية، من زاوية بصرية.. النص ليس قرآنا.. النص غير مقدس).

ظل المخرج منتفخ الكرش ينظر ببرودة وسخرية إلى الكاتب ثم انفجر ضاحكا حتى سقط على ظهره عندما خرج الكاتب مصفقا باب الصالة خلفه وهو يبكي كالصبي الذي أضاع لعبة عزيزة عليه. وصدق حدسك : قاطع الكاتب (احميدة؟!) بروفات المسرحية المخرج منتفخ الكرش وحده في الصالة خارج الصالة أخبار الدم دائما..

إشارة : "خمسة أيام بعد الانفجار الذي استهدف ثانوية فرانز فانون بباب الوادي، عاشت ماكدرة أمس، موجة رعب ميزتها الانفجارات الأربعة التي وقعت في زمن لا يتجاوز الثلاث ساعات، الحصيلة ست ضحايا على الأقل وعشرات الجرحى".

المخرج منتفخ الكرش وحده داخل الصالة، النص أمامه مخرب بالخطوط والخربشات أنت الذي كنت خارج اللعبة، مجرد نقطتين وجثة قرينك أمامك.

هل كبرت؟

هل ظهرت؟

هل أختفت؟

منذ شهور وقرينك (من قرينك؟! أنا؟ القارىء؟! ذلك الوهم الذي يسكننا كالحقيقة جميعا؟!!) يشعر بالضيق والتشنج والاختناق. تلك المحبة المسعورة التي كانت بينك وبينه هي مهددة بالخفوت والإنطفاء، جنية امتصت حتى الأعماق، حتى الفجور القابع في الأدغال، روحه الجميل الغناء، جثته التي عبث بها المخرج انقضت كالعقبان الضارية على روحيكما.. (أقول روحيكما؟!!) آه، يا قرينه.. آه من قرينك..؟! جثته المزروعة فيه لماذا طاردت حبك له كلعنة الفراعنة لماذا تركها تقف في وجهك وتطردك وإياه من فردوس المحبة، يا قرينه، لماذا؟! لماذا؟! هذه الجثة التي تغلي بالدود الاصطناعي لماذا تريد تعرية الجسد من برنوس المحبة؟! يا قرينه، يا حبيبه، لماذا؟ قرينه، سويداء القلب، لماذا؟ شبيهه، سر التواصل، لماذا؟ القرين، توت الخطيئة. توت عورتنا جميعا، توت عورتك وإثمك الأكبر لماذا؟ انظر إلى عمارة المحبة، كيف هي الآن مشرفة على الاندثار. انظر إلى عناقيد المحبة كيف هي الآن تكاد تتساقط في مستنقعات جحيم اللامحبة. انظر أيها الشبيه، أيها القرين، أيها الوهم المستتر. انظر. الجثة الاصطناعية أصبحت تثير

في نفسك نعيق وعويل الكواليس كلها، هي تريد ابتلاءك حتى العظم وتجريدك من كيانك كله. قبل البارحة فقط عندما انتهيتم من البروفة وخرجتم إلى الشارع، ضاق بكم العالم وعجزتم حد البؤس على محادثة بعضكم البعض. انتصب الفراغ بينكم كالجدار السميك، لا تسمعه، لا يسمعونك، تقترب من القرين، يبتعد يقترب منك تبتعد، ما الذي جرى؟ ما الذي يجري؟! لا يسمعك، لا تسمعه. في ذلك المساء بقيتما (أنت والقرين) غارقين في صمتك البارد الثقيل بل حتى عندما دخلتما المقهى وجلستما إلى الطاولة تنظران إلى بعضكما بعضا أحسست برائحة القيء، تتسرب إلى كلماتكما الجوفاء (تكاد لا تصدق) حاولت أن تصيح، أن تصرخ، أن تهتف عاليا : (قريني، أنا مسكون، أنت مسكون.. أنا مهووس، أنت مهووس، كلانا مسكون، مهووس بالتفاهة.. الجثة الاصطناعية هي السبب). من كان يتصور أن يصبح الواحد منكما لا يحتمل الآخر؟ قلب الطاولة في وجهك واختفى. نبحت في وجهه، عويت من كل أعماقك (أحبك يا قريني، أحبك).. لكن الصوت خفت في أعماقك وذوى كجمرة شاحبة، لحقت به، ركضت خلفه، لأنك أحببته، أحببت الشبيه، أحببت القرين، أحببت الوهم، أحببت نفسك.. ثم أردت اغتياله لأنك أحببته! سقط قرينك على الأرض، التصقت به، كان

مضرجا بالدم، دفعت الجثة الاصطناعية بقوة وعزم.. قال (لماذا أنت لاصق بي هكذا.. ألم تقتلني؟) وابتعد القرين عن جسدك، حاولت أن تغرس دمه في دمك صراخه في صراخك خوفه في خوفك أنينه في أنينك رائحته في رائحتك زفراته في زفراتك جرحه في جرحك عمره في عمرك أوراقه في أوراقك شتاؤه في شتائك ربيعه في ربيعك حره في حرك خريفه في خريفك رمله في رملك عطشه في عطشك قمره في قمرك شمسه في شمسك نجومه في نجومك ليله في ليلك نهاره في نهارك كينونته في كينوتك أنت في هو ثم هو في أنت كينونته في كينوتك نهارك في نهاره ليلك في ليله نجومك في نجومه شمسه في شمسك قمرك في قمره عطشك في عطشه رملك في رمله خريفك في خريفه حرك في حره ربيعك في ربيعه شتاؤك في شتائه أوراقك في أوراقه، عمرك في عمره، جرحك في جرحه زفراتك في زفراته رائحتك في رائحته أنينك في أنينه خوفك في خوفه صراخك في صراخه ودمك دمك دمك في دمه دمه دمه. والدم، هل ساح الدم من جسد الشبيه فعلا؟ هل سقط القرين على الأرض مضرجا بدمه؟ ظل الدم يغلي ويجري ساخنا في عروقك، رميت بجسمك على جسده المبجور فعلا (هل كان مبجورا فعلا؟) ورحت تبكي كالطفل، رحت تبكي مثل القرين، مثل الشبيه، يوم كان طفلا غضا وتركه

والداه عند الجارة التي أصبحت أمه الثانية حتى كبر، ثم لم يعد يراها، أنت تذكر (القرين، هل يذكر؟). مررتما على بابها بعد عشرين سنة (أيناها الآن؟) قال لك وأشار بيديه (عندما تركني والداي وسافرا بعيدا أنا تربيت هنا، ماما الثانية كم كانت تحبني) البيت يسكنه أناس غرباء الآن. (ماما الثانية ابتلعها الزمن) وسقطت دمعة سرية من قلبه. ماما الثانية كانت تغني لي (قال القرين) نقلع شعرة من راسي باش نخيط سباطي سباطي عند القاضي والقاضي ماهوش راضي صبحت مرته غضبانة أكلات كرشة عصبانة خديجة وحليمة طلعوا لليمة ربي يخلصهم.. عشرون سنة تمر على البيت العتيق، لا أحد في البيت، ماما الثانية رحلت، هي ليست في البيت العتيق، عشرون سنة، أنت والقرين في سيارة أجرة، سائقها مجنون، تمران على مدينة حجر قديم، وخلف الحجر القديم يقف البيت العتيق شاهدا على الفراغ الذي خلفته في القلب، وفي بيداء القلب ماما الثانية. قال القرين وعيناه مغرورقتان بالدموع والاصفرار (تربيت هنا مع ماما الثانية، أنا أحب ماما الثانية كثيرا). وفي المساء عندما دخلت متأخرا الغرفة التي جمعتك بالقرين رأيت القرين ينام في وضعية انكماش وكأنه في بطن ماما الثانية، ماما الأولى. في الصباح عندما اسيتقظ قلت مخاطبا القرين :

- أقول لك سرا.

نظر إليك وعيناه تكادان تخرجان من محجريهما

- أنت تشبهني.. أنت قريني.. أنت أنا الآخر.

- ماذا؟

- وضعك وأنت نائم، يشبه وضعيتي وأنا نائم، نحن لم نتحرر من حالتنا الأولى عندما كنا في ذلك العالم الهلامي لم يعلق أشعل سيجارة وغرق في سحب الدخان الذي انقض على الغرفة التي تحمل رقم 555. بكيت كالطفل بكيت المحبة، وبكيت جثته التي أمامك. وفجأة صرخ المخرج في وجهك (يبدو أنك خارج اللعبة، أين أنت؟ أين عقلك؟ أين تركيزك؟ هل قلت لك إبك؟ هل أمرتك بالبكاء؟) قلت : (أنت مجرد نقطتين مدورتين تبحلقان في الدماس ويغزوهما ضوء البروجيكتور ويغزوهما النور ليس إلا) وأنت عويت (لكن، القرين، الشبيه.. الشبيه) زعق (لا وجود للقرين، لا وجود للشبيه، أنت أمام جثة، جثة ليست كباقي الجثث، هل فهمت؟). ولم ترد أن تفهم قال القرين (ماما الثانية، كانت تفهمني من النظرة الأولى، تخزر في عندما تلقي القبض علي متلبسا بمنكر، تضحك، يسيح العرق من منافذي، يتلعثم لساني، ينبت الحجر في فمي، تقرصني من خدي) ثم بوسة في الفم ويقول القرين/ الشبيه (بوسة ماما كم هي دافئة تارة، وكم هي حارة تارة، بوسة

ماما الثانية الأولى، عسل) ومرة قال لك القرين (لماذا تنظر إلي هكذا!) ضحكت وقلت :

- لا شيء شعر بالندم يتصاعد إلى وجنتيه. تلعثم وقال بعناد :

- لا أنت تنظر إلى شيء ما, قلت :

- عنقك احمرت وجنتاه أكثر

- عنقي؟ ماله عنقي؟ ثم انفجر ضاحكا

- كنت معها.

حبيبتي متوحشة القرين أحبها، أحب الحبيبة حتى الجنون، وكان إسم الحبيبة نون ونون أيضا أحبت القرين (هل فعلا أحبته؟!) حتى الخبل، كان يسافر اليها كل أسبوع (أو هكذا خيل إلي وهو فارغ الجيب). مدينة نون ساحلية، مسكونة بالبهاء، مثل جسد نون. وتألم القرين ذات يوم كثيرا، ونبتت الطحالب في أعماقه أضحى داخله مفعما بالدجى والرطوبة والصمت المثقل بالشحوب. اختفت نون اختفى جسد القرين تضاءل البريق، تلاشى بريق القرين كالزمن الضائع وعاد كلما رمى بنفسه على الفراش وحيدا مع جسده يتحول إلى حرف نون كأنه حبيبته، إلى نون مغلق على ذاته الملغمة بالرماد. في المقهى أحسست به يتألم، شعرت بالجثة تحاصره، تحاصركما جميعا، تهدد

محبتكما بالتلف والخراب. الركح ماله عامر بالفراغ!؟ القرين يكسوه الظلام، ظلام قاتل، والجثة الاصطناعية تمارس لعبتها الحقيرة، هي تكبر، هي تظهر، هي تختفي، هي تزرع المكان برائحة الموت الجبان، أنت لا تريد للعبة أن تبتلعك وتحولك مجرد نقطتين مدورتين. يا لهذه الموسيقى الناعقة.. بدأت تخترقك تفتضك كالسهم الجنائزي. انتفض دوي بداخلك (إياك والاستسلام) أتترك هذا المخرج المنتفخ الكرش يخرجك!؟ القرين هاهو بدأ يتململ من داخل الجثة الاصطناعية (هل هي لحظة التفكيك؟) المخرج يدمدم، يهدد، يتوقف كل شيء، ينهار الفراغ كالسور العتيق عندما يندلع صوت القرين/الشبيه من قلب الجثة الباردة ويبدأ ينهشها كالكلب المسعور على مرأى من المخرج. في تلك اللحظة تجدد حبك للقرين، للشبيه، أحببته أكثر من أي وقت مضى، شعرت به يرقص في سراديبك كالشعلة المقدسة، ويمدك بحريتك وسيادتك التي ضاعت منك على مملكة جسدك وصرت بدورك تنهش كالكلب المسعور كل ذلك الفراغ الذي كان يلقي بكلكله كالدكتاتور على جسد الركح. وفي زمن كالبرق، كالوميض جسد واحدا، متعددا يحاصر الجثة التي تقيأتها والقرين، ولم تكن في نهاية الحكاية إلا جثة المخرج الذي أصبح مجرد دود غليظ مليء بالموت والزرقة. بكيت بعدها كطفل وبكى القرين/الشبيه

بعدها كالطفل ثم تركت والقرين المسرح (ومسرح الكتابة؟!) خلفكما محشوا بجثة المخرج والدود الغليظ المليء بالزرقة الباهتة، ودخلتما مقهى المدينة الجميلة (ماكدرة؟!) عاريين الا من جسديكما، الجسد المتكامل و الحار وشربتما حتى طرتما وذبتما، تلاشيتما كما الفرح السكران..)

***

ومرتطم، متلاطم هذا الصخب في الدماغ، تتعرى الذاكرة، تلقي بنفسها أمام عبر هذا الموج المتلاطم والمرتطم من الصخب الرخو في الرأس في القلب في عيون ساعتي الميتة والمسكون هذا الصخب بانتحارات شرخة هادرة وضاجة، وهذا الجنون المتدفق من نهر الدماغ يندلق معه هذا الصدى.. ماكدرة الزين الهبال ماكدرة غولة لغوال عليك قلت لقوال وهبالك زاد لي هبال ويسكنني السؤال.. ما الكتابة؟! الكتابة جنون أم رؤيا أم إعادة تشكيل متجدد وجنوني للانتحار؟ الذاكرة، هذه الذاكرة التي أسكنها وتسكننا جميعا هي ذاكرة الدم وذاكرة الرماد وذاكرة الانتحار وذاكرة الغبار وذاكرة الرعب وذاكرة مهرجان الموت الصاخب وذاكرة ماكدرة وذاكرة المقاهي وذاكرة الحانات وذاكرة المطر وذاكرة شوارع العاصمة، كم تسكعت في شوارع العربي بن مهيدي، ديدوش مراد، ساحة الشهداء، ساحة أول ماي وفي المقاهي والبارات مقهى عمي اعمر (ابن

عكنون) جرجرة (شارع عميروش) وبار البوليتش، البوليتش، البوليتش، في بار البلوميتش كتب احميدة زانة أو ذاكرة الجنون والانتحار.. لازلت أتذكر مجانين الرواية، لا زلت أتذكر الجنون، جنون احميدة والانتحار، انتحار ديدوح. لكن من هو ديدوح؟ هل وجد فعلا ديدوح، وعاش في ماكدرة أم هو قرين آخر لاحميدة.. أعرف أن الاسم لم يكن غريبا عني عندما اطلعت عليه في رواية احميد عياشي... فديدوح الذي أعرفه كان جار لنا.. احميدة لم يكن يحبه.. فديدوح كان لديه حمام وسط حي الزنوج بماكدرة وكان يخلع الضروس والأسنان.. والد احميدة أخذ ابنه مرة إلى ديدوح، وضعوا أحميدة في كرسي، ربطوا يديه، وهو يصرخ، ثم فتح فمه بالقوة واقتلع ديدوح سن احميدة، أصيب احميدة الذي لم يكن يتجاوز الخمس سنوات بالاغماء أخذوه إلى المستشفى.. ومنذ ذلك الحين لم يعد احميدة يطيق ديدوح فهل هو ذات الشخص الذي وظفه في روايته؟.. حاولت أن أسأل احميدة مرارا لكنه دائما كان يتهرب من السؤال.. والغريب أنني عندما التحقت بفرقة مسرحية كان احميدة فيها ممثلا كان يؤدي دور شخص مجنون اسمه ديدوح.. وما أثار استغرابي أن احميدة لم يذكر إبنة خالته مليكة ذات الظهر المحدودب التي عاش معها أول مغامراته النسوية وهو ما يزال شابا

في مقتبل العمر، أما عباسية التي أحبته وقد ذكرها في رواية (زانة أو ذاكرة الجنون والإنتحار) فلقد كانت على دراية كاملة بالتجربة... بل وكانت على دراية أن احميدة وأنا كنا نحب زانة... لكن زانة لم تكن لتعبأ بنا... لكننا أحببناها.. غادرت ماكدرة.. قيل أنها تزوجت وقيل أنها عشقت شابا إرهابيا فالتحقت به في الجبل.. وقيل أنها هي الأخرى أصبحت إرهابية ثم سرعان ما أصبحت عاهرة لكن أنا لا أصدق مثل هذه الترهات.. زانة تبقى أعظم وأجمل امرأة منحها الرب إلى هذا العالم.. الآن، أين زانة.. لا أدري.. وذات مرة التقيت باحميدة في بار البوليتش ورحنا نتذكر ماكدرة، لكن هو دائما ينفي وقال لأحد الأصدقاء أن ذلك مجرد هراء... وأنا لا زلت أتذكر كل ذلك الهذيان حيث أصبح ديدوح وديدوح احميدة وقال "إن الشيخ قرأ سورة أو آية أو طلسما، أذكر وطمأن والدي ووالدي بهت، لم يصدق، كاد يركب رأسه الجنون عندما دخلت عباسية البيت كالعاصفة الرعناء تنوح وتبكي وتعوي وتهذي (ديدوح، ديدوحي في شهر دسيمبر فقد العمر الرسمي وسجلوه ميتا، ميتا، ميتا، حضر الجيران والأصدقاء وناس لا أعرفهم ولا يعرفهم ديدوحي جنازته، جاءت زانة الفاتنة المتعددة المتفردة كحية اسطورية ذات ألف قناع وألف وجه// قالت زانة فالقلب أبكم// تعزي كانت تلبس

قفطانا أسود، قتل ديدوحي أباه عندما اعتدى الأب على شرف الإبن، صعد ديدوحي القرمود وألقى بصخرة على رأس والده.. الدم تدفق، سواقي، سواقي، والسواقي حمراء، الناس تشهد، الناس مذعورون، قلوبهم تقفز من بين أقفاص صدورهم، وهم هربوا، هربوا، هربوا وجاءت زانة (والقلب أبكم) أكرهها زانة (أحبها زانة) تعزي، كان ضابط برفقتها من يكون ذاك الضابط؟! زوجها!!؟ واكتشف الضابط الذي جاء برفقتها والد ديدوح متلبسا بالجريمة.. الأب يقتل إبنه أو بالأحرى الإبن يقتل والده، لأن الوالد خان الأب بقتل ابنه أو بالأحرى الإبن يقتل والده. لأن الوالد خان الإبن، ديدوح يهشم رأس الأب، ويهشم أيضا رأس الضابط. ديدوح ضد الأبوة وضد العسكر وضد الخيانة.. لكن الوالد مات، أما الضابط فلم يمت، لا زال حيا يرزق، ديدوحي أغلق الحجرة على نفسه، ونظر مليا في المرآة، بكى طويلا حتى سال المخاط منه مدرارا وفكر في الانتحار، وانتحر ديدوحي انتحر، فتح والده الباب لأنه شم رائحة الموت وجده منتحرا قلت لهم أنتم قتلتم ديدوحي، أحببته قبل أن يشب، بكيت طويلا، هل تذكرون؟! عندما غادرت ماكدرة عائلة ديدوح قتلت، قتلت ديدوحي وفي منتصف تلك الليلة احتضن الزوج زوجته بين ذراعيه المفتولين وألصق ابتسامة على جبينها في قلب أو في جوف العتمة المنبعثة

من متاهات السقف الهزيل الحالم بالشجر المتراقص ظله على وجوه أمواه المستنقعات الراكدة النائية الغارقة الضائعة في أدغال مجهول مكانها (وإن ظهر وما ظهر غير ما بطن واستتر) كمدرية المذاق وشيرازية الرائحة تعود وبسمل ثم أولج فعله في المغارة اللحمية المتزاغبة، فبكيت وضبحت وكأني المغارة اللحمية المتزاغبة التي اقتحمها ذاك الفحل الأعمى الشره الملتهب كجندي نازي في عز النازية، وذلك الفحل الأعمى ذو العين الواحدة تقيأ على لحافها الرخو لبنه الخاثر اللزج الخجول كمليكة (طبعا مليكة بنت خالة احميدة) لقد ذكر احميدة اسمها لكنه كان ثملا، وظل دائما ينكر ذلك الهذيان الغريب الذي قر في ذاكرتي كالنقش الخالد).. والهذيان يتواصل .. الخجول كمليكة بنت خالي ذات الظهر المحدودب.. الحدبة الصغيرة التي تطل على الآخرين كوجه أشمط يسيل الرعب والهلع المستترين سيلانا في قلوب أبناء وبنات الجيران الذين تأتي أمهاتهم زوجة خالي شاكيات صاخبات وموقوقات ومنددات بحدبة مليكة التي تعكر صفو حياة أبنائهم وبناتهم لكن جبارية زوجة خالي ترشقهن بحجارة نارية كأنها الجمر وكأنها الدبابيس الجهنمية، ثم تنكفئ كالشر نحو ابنتها مذيقة إياها عذاب جهنم الصغرى ويكلفها ذلك قضاء وقت طويل دونما حراك في الغرفة.. في الفراش.. أقول في الفراش؟! أجل في

الفراش.. الفراش؟! أمسية // ذات أمسية وحدها // كانت وحدها في الفراش/ في الفراش عرس طفولي/ تقيم عرسا طفولي الروعة/ حاد الروعة للعرايس التي حملها لها أخوها المتزوج (30 سنة) والملازم الأول من الخارج.. أمها// أوصتني أمها ساعة وتعود، ساعة // لكن ساعة مرت وهي لم تعد، ساعة أخرى، الظلام // ويتهاطل الظلام الشتوي المتراص الكثافة المشحونة بالصمت والرهبة وثورة الأوراق الشجرية المولولة اقترب // ومليكة قالت اقترب فأدخلت يدها المرتعشة الحارة المحمومة في إبطي فضحكت وضحكت، الأرض//ثم بدأت الأرض الكروية المزركشة بأفخم وأصرخ الألوان الطفولية تدور // والبلابل والفراشات الخضراء والبيضاء والصفراء تطير في رأسينا، فبكينا // حتى البكاء، تدور في رأسينا حتى البكاء إلى أن وجدونا على هذا الحال، غير الصمت // فاندهشوا ولم يعلقوا على حالتنا بشيء غير الصمت الدفين الرمادي المتقزز والمقزز، تكرهني // ومن يومها ذاك بدأت زوجة خالي تكرهني وكأني قتلت أحد أبنائها أو بناتها العزيزات خيرة، سامية، رقية، بدرة، والهوارية خمس عشرة سنة // قالت مليكة الميتة من الحشمة والخجل بعد خمس عشرة سنة من واقعة العرائس والفراش والأرض التي دارت بأفخم الألوان الطفولية وأصرخها في رأسينا والبلابل والفراشات البيضاء

والخضراء والصفراء إلى آخره، إلى آخره أن أمها تكرهني، الباب على مصراعيه // عميق الكره لأنني خنتها وكدت أفتح فرج مليكة وألطخ الشرف العائلي وأفتح الباب على مصراعيه أمام مليكة لتسير في طريق لا يحبه الرب، عائلة شريفة/ فهم على حد تعبير أمها عائلة شريفة محافظة على دينها وأسماء أجدادها وبكارات بناتها، حبك المجنون // قلت يا مليكة قتلتني حق دين ربي العالي بالضحك، فضحكت مليكة وقالت لولا حبك المجنون، طارت من بين يديك // العنيد الأعمى لزانة التي طارت من بين يديك لتنام بين أحضان غريب لكنه زوجي // وزانة رأيتها وديدوح في مفترق الطرق المؤدية إلى الجسر، وعلى الجسر نقوش ورسومات وكتابات رديئة.. والجسر كما تعلم ليتك تعلم يفصل بين ماكدرة وتافسور، وهي تحسرت قلت أنت معشوقة أسطورية قالت أنا مستقبلي العهر..". وأيضا : ".. القهوة بالحليب // كنا نكبر فنغتسل - وهذا الصخب مرتطم متلاطم في الرأس وفي القلب وعيون الساعة الميتة ولا يشبه في ارتطامه وتلاطمه غير مسات جنون طوفانها المسجى في صناديق حكايات وروايات ومقامات شيقة.. ويوم ماتت جدتي ازدحم البيت بالفقراء والفقيرات وكانوا يلبسون البياض.. وكان الشيخ، شيخ الفقيرات والفقراء يضع على رأسه شاشية حمراء.. عندئذ رأيت جدتي روحا..

رأيت الروح ينهض ويلقي عن نفسه الكفن.. يرقص، يصاعد وينزل من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء، ومن السماء إلى السموات الأخرى.. أصوات البندير تتعالى.. الحناجر تتزاحم، تتهادى، تتعانق، تمتزج، تمنح للعيون أبصارا وللقلوب أنغاما وتراتيل.. وفي تلك اللحظة النشوية راحت ساعتي، التي تركتها لي جدتي ترقص.. وسمعت شيخ الطريقة، شيخ الفقيرات والفقراء يتحدث عن فضائل الخمول، حيث قال الخمول نعمة على العبد (لو عرف شكرها) ونتناول القهوة بالحليب ونحمل محافظنا مارين بابن زوجة عمي يامنة، قدور راس القدور فتضع على خدودنا قبلات وفي جيوبنا حلوي القريوش والمقرود ودريهمات بينما قدور تأكله الغيرة ويسبنا كلما ابتعدنا عن الدار ويهددنا بالضرب لو لن نرد له الدريهمات وحلوى القريوش، لم نجبه، لم نستسلم له بل صمتنا وازددنا في تمادينا وجنناه عندما ذهبنا كالأبالسة صباح غد ذلك اليوم سارقين منه هذه المرة نومه المعسول بالأحلام الشهية اللذيذة، نصمت وهو يرغي كلما ابتعدنا عن الدار وأمه يامنة، لا نرد ولا نتبادل.. المدرسة التي كنا ندرس بها تنام خلف حمام الحاج الحبيب ولد العبدلي الكرغلي الذي أمقت زوجته المقت كله لأنها بعد عناد أمي في كثير من الأحيان بجري إلى الحمام معها جعلت مني -لم أكن أتجاوز

الأربع سنوات- أضحوكة لدى أمهات أترابي الذين لم يكفوا عن الهمز والغمز ومحاولة إهانتي بأنني لست ذكرا، بل أنثى، أو شبه أنثى..وأنا سجين في هذه الغرفة.. سجين الروح والجسد ينبعث في روحي جو الحمام الذي كان يتكون من صالة كبيرة وواسعة وما كان يثيرني فيه الفيانس المزركش// وذات شكل عثماني، على الجدران تمتد لوحات زاخرة بالمنمات والأشكال اللولبية والدائرية، صور لا وجود لها، لا ظل لها.. لماذا تلك الرسومات المسماة رسومات إسلامية لا ظل لها، ولا وجوه لها.. لماذا لا تحاكي الطبيعة؟ هذا السؤال طرحته خمسة وعشرين سنة فيما بعد على نفسي، ونصحني احميدة عندما أعدت عليه السؤال يوم كنا نرتاد بار البولمبيتش على بحث قام به أحد المهتمين بجمالية الرسم الإسلامي، لا أذكر الآن إسمه لكن لازلت أحتفظ بفقرات من البحث في هذه البطاقات الصغيرة وهي كمايلي :

البطاقة الأولى :

مبدأ الاستحالة "يتخذ الرسام المسلم من مبدأ الاستحالة قاعدتة الذهبية إلى أبعد ما يكون التطبيق، فهو يصور السماء في المخطوطات العربية على هيئة هليل أو هلال

أزرق وكثيرا ما يستعمل الطريقة المصطلح عليها في بيان العمق بتطوير الأشياء "واقفة" في الرسم الفارسي كأنها تشاهد عموديا بينما ترى بقية اللوحة بعضها بعضا من مستوى أوسط وبعضها من ارتفاع نسبي ويصور الرسامون بصورة أبرع مثلا عدة شخوص في منمنمة واحدة بوجه واحد بل يمثلون الشخص نفسه في سلسلة من المنمنمات تصور مختلف أحداث واقعة واحدة مغيرين الملابس في كل مرة وحتى الوجوه ويمكن تغيير قطع الآثاث وألوانها من منمنمة إلى أخرى في حين أن المشهد واحد لا يتغير، ويطبق مبدأ الاستحالة أيضا على الالوان لذلك نرى خيولا وردية وزرقاء وبرتقالية وبنفسجية كما تتخذ العمائر والأثاث والملابس ألوانا وزخارف مصطنعة".

البطاقة الثانية :

".. إن الذي كان محرما لدى الضمير الإسلامي حتى السني المتشدد، لم يكن الرسم لذاته بل المسألة كانت متوقفة على أسلوب تصوير الأحياء وخاصة منها الإنسان، والمؤكد أن رسوم الأبطال المسلمين على الورق العادي الذي يتحدث عنها "أوليا جلبي" لم تكن ولا يمكن أن تكون صورا حقيقية مشخصة ومقبولة وفي هذه الظروف نرى أن الشعب نفسه لم يكن يرى أي مانع في وجود هذه الرسوم حتى لو أطلقت عليها أسماء الأنبياء وأبطال الإسلام ما دام مقصد الفنان

لم يكن محاكاة الطبيعة ونقل الملامح الحقيقية لشخص ما بصورة مشبهة".

البطاقة الثالثة :

".. فالكل دائما هو الذي يكون جوهر العمل الفني.."

البطاقة الرابعة :

".. يخضع العالم المستقل للأثر الفني لما نسميه (منطقة الأشكال) ونقصد بالعبارة في معناها الواسع الضرورة المجردة والمستقلة لوجود علاقات للخطوط فيما بينها وفي معنى أدق نقصد العلاقات المنطقية الحقيقية أي التي يمكن إرجاعها إلى بنية عقلية مضبوطة كالإخراج والتضمين والتماثل والتضاد والقياس والمجموعات الهندسية الجزئية للذرات الزخرفية المكونة لبنى قابلة للعكس. والمجموعات المرتكزة على تماثل عناصرها أو تشابهها أو تضادها أو على قابليتها للعكس الخ... أما في ميدان الألوان فإن مجرد وجود مساحات متجانسة ذات حدود واضحة يؤدي الى ايجاد علاقات متخامة وحدود وتجاور إلخ... كما قد نجد النظام الموضوعي نفسه للعلاقات الطوبولوجية".

البطاقة الخامسة :

" نكون أو لا نكون : هذا هو السؤال الذي اضطرت التحريمات الفنانين إلى طرحه، فهلا يمكن القول أن الرسام

المسلم استطاع الإجابة على هذا الشكل الأساسي بصورة رائعة وأنه لم يفلح في إباحة فنه سلبيا فحسب، بل حوله إلى طريق صوفي لنفسه ولكل من يرى في الصورة أكثر من مجرد عالم ممثل؟ (وصل..)... صور لا وجوه لها. لا ظل لها... وعلى الجانب الأيمن حجرتان كبيرتان للإستحمام، مليئتان بالبخار، أنضح عرقا وأغرق في لجج البخار الكثيف وكأنه الدخن. رموش عجائبية// فأرى وجهها، عينان كعيني رب أسطوري واسعتان ضيقتان في نفس الوقت تنبت على حافتيها رموش عجائبية محتضنة بين مضائقها كل التاريخ الماكدري المشوه، المدفون، المعلق على أعواد ظلال مشانق الأشفار كالقصائد العربية، ماكدرة، تاريخ، وهم، بخار، طيف، ظلال، يركبون النوق // أقبض على رموش زانة أعقفها وأمددها كأنفاس الزمن وأنسج منها ريشة أرسم بها تاريخا جميلا أو قبيحا للسلاطين يركبون النوق ويشربون حتى الثمالة كل أنواع الخمور والنبائذ المعتقة كخطبهم وخطط سياساتهم المعطرة المخمورة، نصف الإلهيات // يضاجعون الحور وبنات الجن نصف الإلهيات فيخلفن لهم حكاما أي سلاطين صغارا أجمل // وأرسم قصرا بل قصورا متراصة متكاثفة متناطحة متعانقة فيهتف المؤرخون والكتبة الرسميون، يهتفون، يهتفون، يهتفون. وأرسم الشعراء والفلاسفة ملوكا والملوك

شعراء وفلاسفة يغنون، الحب والعدالة الأبدية، وأرسم الجواري ينشدن ويرقصن والعبيد يزنون بزوجات الملوك كلما نودي إلى الجهاد، أرسم الأطيط تحلم بالمستقبل، وترى ذلك الدخول الصاخب للقرن الواحد والعشرين وتدشينه الزمن الجديد، زمن 11 سبتمبر، زمن سقوط التوأمتين، زمن أسامة بن لادن..

عنوان : "قل لي، هل مازال ذلك العلم المرصع بالنجوم يرفرف؟" جريدة أمريكية : "الثلاثاء 11 سبتمبر 2001، سيكون بالفعل (تاريخا سيخلد بالعمل الشائن) كما قال فرانكلين روزفلت قبل نحو 60 عاما خلت، بعيد قصف بيرل هاربور. ولكن أوجه القياس تنتهي هنا، فأحداث الثلاثاء أكثر شناعة ومأساوية، حتى مما حدث في 7 ديسمبر 1941، ففي بيرل هاربور مات نحو 2300 جندي وبحار امريكي، ونحن لا نستطيع إلا أن نتكهن في شأن أعداد الذين سحقوا وحرقوا ودفنوا أحياء في نيويورك وواشنطن، ولكن يمكن القول عن ثقة إننا قد شهدنا للتو أكبر خسارة في الأنفس الأمريكية في يوم واحد منذ معركة الفيتنام، أسوأ يوم من أيام الحرب الأهلية الأمريكية.."

فاصل : في سقوط البرجين

سقوط أفق المدينة : تعرض البرجان للهجوم من اتجاهين مختلفين بواسطة طائرتين نفاثتين ضخمتين

1ـ الساعة 8.45 صباحا : طائرة امريكان ايرلاينز من طراز بوينغ 767 ومختطفة في رحلة من بوسطن، تصطدم بالجزء الأعلى من البرج الشمالي.

2 ـ الساعة 9.03 صباحا : طائرة يوناتيد ايرلاينز من طراز بوينغ 767 المختطفة أيضا من بوسطن تصطدم بالبرج الجنوبي.

3 ـ الساعة 9.31 صباحا : الرئيس بوش يصف الاصطدامين بأنهما "هجوم إرهابي" وفي هذه الأثناء، يصل مئات عمال الانقاذ إلى موقع الحادث، فيما يحاول الناس إخلاء المبنيين.

4 ـ الساعة 9.50 صباحا : البرج الجنوبي ينهار، مما يسفر عن مقتل وإصابة الالاف ويرسل سحابة هائلة من الدخان تنبعث عبر الشوارع.

5 ـ الساعة 10.29 صباحا: البرج الشمالي ينفجر نحو الداخل، ويسبب مزيدا من الخراب ويغطي وسط مدينة مانهاتن بالرماد والحطام.

* إحصاءات حيوية :

تاريخ الإنجاز : 1973

عدد الطوابق : 110

الارتفاع : 1.368 قدما (البرج الجنوبي)

عدد العاملين : نحو 50.000

* إرهاب على متن الطائرة : "اختطف الإرهابيون أربع طائرات ركاب امريكية

1 ـ في منطقة الساحل الشرقي، أثنتين من بوسطن، وكانت جميعها متجهة إلى كاليفورنيا، وحطموها. الرحلة 11 لشركة أميريكان أيرلانز تغادر بوسطن في الساعة 7.59 صباحا متجهة إلى لوس انجلوس، وتصطدم الطائرة التي كانت تقل 81 راكبا و11 من أفراد الطاقم بالبرج الشمالي.

2 ـ الرحلة 175 لشركة يونايتد ايرلاينز تغادر بوسطن في الساعة 7.58 صباحا وترتطم بالبرج الجنوبي، وكانت تقل 56 راكبا وتسعة من أفراد الطاقم ومتجهة أصلا إلى لوس انجلوس.

3 ـ الرحلة 93 لشركة يونايتد ايرلاينز المتجهة إلى سان فرانسيسكو، تغادر نيويورك في 8.01 صباحا، وتتحطم الطائرة التي كانت تقل 38 راكبا وطيارين وخمسة من أفراد طاقمها في الساعة 10.00 صباحا بالقرب من بيتسبيرغ.

4 ـ الرحلة 77 لشركة اميريكان إيرلاينز تغادر واشنطن في الساعة 8.10 صباحا متجهة إلى لوس انجلوس، وتصطدم الطائرة التي كان على متنها 58 راكبا وطياران وأربعة من

أفراد الطاقم بمبنى وزارة الدفاع البنتاغون.

* الذوبان تحت الأرض : "لم يتمكن البرجان المشيدان من الصلب والأسمنت من تحمل الحرارة الناجمة عن احتراق الوقود بحيث لانت أعمدة الارتكاز في البرجين من ارتفاع درجات الحرارة الناجمة عن احتراق الوقود إلى أن ألتوت وانهارت تحت ثقل الطوابق الأعلى، وسبب ثقل الطوابق المنهارة ردود فعل متعاقبة حتى سوت البرجين مع الأرض".

* افتراق الحصن : "هاجمت إحدى الطائرات المختطفة البنتاغون بعد إصابة برجي مركز التجارة بوقت قصير.

الساعة 9.38 صباحا : طائرة 77 التابعة لشركة اميريكان ايرلاينز المختطفة من مطار داليس الدولي تصطدم بالجزء الشمالي الغربي للبانتاغون وتشعل نار حتى صباح اليوم التالي، وهو أول هجوم إرهابي على المبنى في تاريخه منذ 58 عاما.

* معلومات حيوية : مقر: وزارة الدفاع (البنتاغون)

اكتمل انشاؤه : 1943

الحجم : ثلاثة أضعاف مبنى ستيت في نيويورك

عدد العاملين فيه : 23.000 وما يزيد

طول الممرات : 17.5 ميلا

* آثار الهجمة : "أسواق تبادل الأسهم تغلق أبوابها، وكالة الطيران الفيدرالية تغلق كل المطارات. مدينة نيويورك تدخل في حالة جمود. وتلغي الانتخابات الأولية، لمنصب رئيس البلدية للمدينة، وتغلق الجسور والانفاق. كل المكاتب الحكومية في واشنطن العاصمة تخلى وتغلق متنزهات ديزني وورلد أبوابها.

وأيضا : عناوين امريكية أخرى

* الهجمات القاتلة في وضح النهار كانت في غاية التطور ومنسقة بشكل جيد كما لم يرها المحققون الامريكيون من قبل.

* الحرب على الإرهاب تغدو عالمية.

* بوش : "إننا في حالة حرب"

* كيفية الرد : متحمسون للرد، يعتقد 71% من الأمريكيين أن على بلادهم أن تضرب قواعد الإرهابيين والدول التي تؤيدهم وإن أدى ذلك إلى إصابات مدنية..

التاريخ، دائما سبتمبر 2001.. وجريدة امريكية تحاور صائب عريقات كبير المفاوضين الفلسطينيين.

سؤال : ما مشاعرك الخاصة تجاه هذه الجريمة البشعة؟

جواب : تأثرت جدا لما سمعته وشاهدته.. وكانت صدمة عنيفة، هذا أمر غير مقبول على الإطلاق... إلخ... إلخ...

سؤال : ألم يطلب باول من عرفات الانضمام إلى جهود مقاومة الإرهاب؟

جواب : أذكر أن عرفات بعث برسالة تعزية للرئيس بوش قال فيها إن الشعب الفلسطيني وقف دائما ضد الإرهاب.

سؤال : ولكن هل ستشارك السلطة الفلسطينية في أي حملة دولية لمحاربة الإرهاب؟

جواب : لم يطلب أحد من السلطة الفلسطينية شيئا من هذا القبيل.

سؤال : إلى أي مدى يمكن للقضية الفلسطينية أن تتأثر بتداعيات هذه الحوادث المؤسفة؟

جواب : العالم بعد يوم الثلاثاء سيتغير، وهناك تداعيات كثيرة سنراها فور انقشاع الغبار.. العلاقات الدولية ستتغير والصراعات الدولية ستتغير خارطتها..

(وصل..) .. وأرسم

رسومات// في أو على شواطئ أطياف وظلال الحضارات (صدام الحضارات؟ والثقافات (حوار الثقافات؟) والحروف

والأزمنة أرسم رسومات لا تقول شيئا خير من أن تقول أشياء، رسومات ليست كالرسومات رسومات تتلوى كالديدان تدور على ذاتها مثلي، أراني أدور على نفسي كدودة صارخا بالبرد الأصفر كلما داعبني أو داعب قريني (يا ذا البرد الأصفر الراقص على جسدي كدودة لا تحزن). ثم شعرت بالخمول، وتحولت إلى درويش، إلى مخلوق متوحش، غرفتي أيضا أصبحت متوحشة، بحثت عن كمية أخرى من الحشيش، رميت بنفسي في بئر الزمن تراءى لي وجه الشيخ.. كنت أسأله وهو يجيب.. سألت ما الخمول؟ وقال الشيخ : الخمول فضل من فضائل الله يا ولدي.. وقال الشيخ : هو نعمة جامعة لأكثر النعم لمن عرفها وحققها وتدبر ما فيها من صفاء الأوقات وحسن الموافقات وأنواع الغربات، فمن ذاقها وحققها فلا محالة يشكر الله عليها ويستعمل كل الوسائل لدوامها، كما يفر من الشهرة ويستعمل الوسائل المناقضة لها لكي يصفو له الوقت بينه وبين محبوبه.." وقال الشيخ : "وما أحسن ما قيل في الحكم العطائية (أدفن وجودك في أرض الخمول، فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه". وقال الشيخ : "سئل يوما مولانا العربي الدرقاوي شيخ الطريقة الدرقاوية ـرضي الله عنه عن مهر الطريق؟ فقال : إسقاط المنزلة، ومن اللفظ المتداول بين القوم (لا تصلح طريقتنا إلا لمن كنست

بأرواحهم المزابل، فمن لم يكن أرضا لم تمطر عليه السماء"، وقد كان عيسى عليه السلام يقول لأصحابه : (أين تنبت الجنة؟ فيقال له في الأرض، فيقول : كذلك الحكمة لا تنبت إلا في قلب خامل).

6. كولاج (3)

7 أوت..

عزيزي احميدة...

نعيش التقاطعات من جديد.. حبي لك سيبقى منقوشا في ذاكرة القلب.. (هل هو حب؟) أنت الآن في زيارة إلى ماكدرة أنا الآن في العاصمة، أجلس إلى نفسي، أتذكر كل تلك الأسماء والصور التي حدثتني عنها ذات مرة.. عن مجنون ماكدرة ابن عليوى.. عن زانة.. عن ديدوح.. وعن الولي الصالح الذي ينام قرب الماء سيدي محمد بن علي.. أتذكر ما كنت تقوله لي عن تجربة الرجوع إلى الخلف كم هي مهمة للذات في عملية البحث عن بقايا الصور التي تظل قابعة في الكون الداخلي للذاكرة.. عزيزي.. قرأت رسائلك الجديدة مرة واحدة، وعندي رغبة جامحة في إعادة قراءتها ألف مرة لكني أريد للمرة الوحيدة أن تحتفظ بكل

هيبتها وسحرها، لتبقى في أعماقي تلك اللحظة المجنونة قوية وحية وسرمدية.. عزيزي.. لكم حزنت عندما علمت أنك ستنشر جزء من رسائلنا الخفية على الملأ.. هي ملكي، لا أريدها لأحد.. تقول لي ضاحكا، أنها تنشر لتخلد.. لا أريد الخلود.. أنا أعشق خلود الفناء.. كل شيء مصيره أدراج الرياح.. أدراج الرياح..

أحبك.

5 أكتوبر..

عزيزي..

.. تنتابني رغبة شديدة في البكاء، لأن الذي ينام في ذاتي ويحدق تجاه محطة قلبك ومنارة روحك لا تسعفه الكلمات وإنني لأحس بشعور غريب لا أعرف كنهه.. لا أعرف هويته.. أنا متعبة.

أحبك.

2 نوفمبر..

عزيزي..

في اللحظة التي رفعت فيها القلم كنت قد وصلت إلى حد لم أستطع فيه الكتابة ولا التفكير، فقررت أن أتوقف.. وأكتب إليك بدون قلم، بالقلب، على فكرة.. ما الكتابة؟ أحبك.

15 نوفمبر

عزيزي..

احتاجك كثيرا.. بل وأفتقدك. أحبك

1 مارس..

عزيزي..

هاتفتك لكنك لم ترد.. هل أنت في العاصمة أم في ماكدرة أم في الأثنتين معا؟! فهمت أنك في حاجة إلى عزلة.. قيل لي أنك تكتب أو تعيد كتابة روايتك "هوس"... بصراحة كتابتك تثير فيّ الغثيان..

أحبك

21 مارس

عزيزي..

افتقدتك.. افتقدتك، افتقدت عمقك، افتقدت جنونك، افتقدت حنانك.. أين اختفيت؟!

أحبك..

1 ماي..

عزيزي..

اشتقت لك وللكتابة اليك.. أنني أكتب الآن وتلك النظرة المنكسرة في عينيك تحرك قلمي.. لقد أحسست بعمقك الجريح إثر فقدانك لذلك الصديق.. كان صحفيا

وكاتبا.. أنا لم أكن أعرفه، لكنك قلت لي.. صادق عيسات من الأقلام الواعدة.. ولقد وعدتني بأن تهديني روايته التي صدرت منذ شهور بباريس.. في انتظار وعدك..

أحبك..

17 أكتوبر..

عزيزتي..

عندما نتألم نحس بالوحدة، نشعر بالقرية، نبحث عن ملاذ، ويكون هذا الملاذ الكتابة (تسألينني ما الكتابة؟) والكتابة هنا، في ظل هذا الحال تتحول إلى صوت يبحث عن صدر، يبحث عن أذن، يبحث عن بئر يتدفق فيه. الألم هو البحث المتعثر عن السعادة.. لكن السعادة ما هي؟ إننا ننساها، ننسى لحظاتها عندما نكون في قلبها.. تتحول السعادة إلى حالة من اليتم، لا نلتفت إليها عندما تكون رهن إشارتنا، لا ننظر إلى ملامحها، لا ننتبه إلى حضورها، بل نعيشها.. بل وننسى حتى التفكير فيها والكتابة عن متعة لحظتها، فهي اللحظة المشرقة، وعندئذ لا تنتظر السعادة منا أن نكتب عنها، لأنها تكتبنا، تنسينا لحظة البحث عن الملاذ، لكن عن الذين رشفوا من رحيق الألم تبعث فيهم حالة من الحب الفسيح، حالة من الإنصات الداخلي المرهف والرهيف.. حالة من الحزن الخفي المسرور

والجذلان، بل مزيج من حالة مستعصية على الوصف والفهم.. حالة من التيهان السعيد في اللحظات المعاشة. تنبثق السعادة أحيانا من داخلنا، ومن خارجنا كذلك عندما نشعر أن الآخر الذي كان بعيدا وأضحى قريبا يمنحنا شيئا مما كنا نتمنى منحنا إياه.. شيئا من روحه، شيئا من فرحه، شيئا من ترفه، شيئا من نزقه، شيئا من ضعفه وقوته الكامنة في حضور ضعفه الإنساني.. السعادة لا تقول إسمها، لا تكشف عن مفاتن جسدها، لا ترفع الستار عن كنوزها، تفجر من الداخل عبر قوتها السحرية والباطنية جاذبيتها، ترسم على ملامحنا خيوطا من فضة، تحفر على شفاهنا سواقي وغدران متدفقة وجذلانة، تقذف في سراديب عيوننا شموسا ساطعة وبراقة، تملأ لحظاتنا الظاهرة وغير الظاهرة بالنجوم... تلهبنا بالانطلاق المرح لكنها تفعل كل ذلك بسرية خارقة وبحميمية وهاجة.. ثم توسع السعادة من رقعة حبنا، يصبح حبنا مورقا ونابضا وولادا... تمنحنا القدرة على أن نلد الحب داخل رحم الحب... نستطيع أن نحب بنفس القوة ونفس العمق ونفس العنفوان مرتين في مرة واحدة، أي كما نغطس غطستين في واد من خلال غطسة واحدة ووحيدة لكنها في العمق متعددة. السعادة أيضا يا عزيزتي تمنحنا شيئا سحريا من الرفعة والسمو.. تشعرنا وكأننا مستسلمين لقوة خفية لها قدرة على الجذب،

أي جذبنا نحو الأعلى.. وفي كل هذه الحالات نصوم أحيانا عن الكتابة، نبتعد عنها، نجافيها، نفضل اللحظة التي تكتبها على حفر اللحظة بالكلمات، نترك الآثر إلى اللاأثر لأنه أفصح وأنبض وأعتى من حيث تجليه على بياض جسد الحياة بدل تجليه عبر بياض جسد الورق.. منحنى هذا السكون والكمون في لحظة غياب الكتابة تأمل كل اللحظات التي اخترقتك واخترقتني وجعلتني أصغي إلى صفاء حبك، إلى تجربتك التي قد تقودك إلى ما وراء حدود التجربة، عبر معاناتك الصامتة وعبر ألمك الذي كنت تنتشين بحضوره... لكن الانتشاء كان في الأساس تعبير عن خوف من مواجهة الآخر للألم... ومنحني هذا السكون قدرة إنصات متجددة لحساسيتك الصموتة والصاخبة في نفس الوقت وقدرة نظر إلى جانبك الراقي المتعالي والهش في الوقت ذاته.. منحني هذا السكون أن أكتشف سكونك المليء بالاستعراف والمحبة وفيض العطاء... منحني هذا السكون فرصة اشتهاء سكونك، وإجلال حزنك المنتشى في ظل عز سعادتك..

أحبك...

28 أكتوبر..

عزيزتي..

1-عندما يمنحنا الحب شموسه وأقماره ونجومه، علينا أن نحمده على ذلك، وهذا باستعدادنا قبولنا له وتحملنا كل ما تثيره فينا ظلماته من قلق وشك وحيرة وألم.

2 -لا تنسي أن غدك هو مجموع لحظات ذكائك اليومية، وقراراتك الحاسمة وصفاء نظراتك، لكن هو أيضا مجموع كل الحماقات التي لا ينتبه إليها.

3 - أحيانا تهدينا السماء بلبلا نادرا، فلنعرف كيف نحتفظ به، ونجعل من تغريده منارا من منارات حياتنا.

4 - تعلمي الكتابة وأنت في لحظة صفاء وسعادة، ففيها سر وفيها جنة.

5 - قودي نفسك ولو مرة في الشهر ولا تدعي نفسك تقودك كل لحظة فهي تتركك وحيدة، عزلاء، ومهيضة الجناح لحظة التعثر.

6 - دعي حبك يرفعك ويسمو بك إلى منزلة إله لا أن يجرك وينزل بك إلى وضاعة العبيد.

7 - بين التواضع والوضاعة ثمة عالم غريب، علينا أن نتعلم كيف نخوضه مرة وكأننا في حرب ومرة وكأننا في حرب مكررة. أحبك...

2 سبتمبر

عزيزتي..

1 - الخواطر تحتاج إلى تقييد، فهي كالسحب، تمضي من أفق إلى أفق أكثر دكانة، هي كما الأيام تمضي حيث لا يمضي القلب في غالب الأحيان.

2 - الساعة تشير إلى الخامسة صباحا، الزمن كم هو ملعون ومخادع صوت الأذان ارتفع ونفد في قلب الظلام ثم تلاحم الصوت بالظلام ثم تلاشى الصوت وتلاشى الظلام مع أصداء أخرى.. بقي البرق والرعد يرقصان رقصة المجوس في ظل هذا السكون المريب والصاخب.

3 - تنامين أنت في هذه اللحظة.. أنا يقظ، أيقظتني الأفكار المتزاحمة، ليس بل في أعماقي وفي قلبي.. في اليقظة يتسربل معظمنا بالمظاهر والسلوكات والكلمات.. حالة النوم ترفع الستار عن حقيقتنا التي نسعى في غالب الأحيان إلى تغطيتها بضوء النهار.

4 - آمنت بأن الحب عطاء فياض ودائم، ليس له حد ولا سدود ينتحر كلما تحول إلى استجداء.

5 - عندما دعوتك إلى العشاء كنت أريد من وراء ذلك لحظة احتفاء بك، احتفاء بحضورك. كان حضورك غائبا..

كانت روحك نائية، وخلف جدار شرفة لا أبصرها.. كان العشاء، پايلا، كسكس وكلمات.

6 - الحب في مسيره وتململه نقش مركب، معقد وعميق وفي تيهه محو، تضمحل كل الأعراض وتفنى كل الدردشات التي تتحايل على تجلي صوته الأصيل، وتشحب كل البهجات ويزول كل النزق، لكن يبقى الأثر، كل المعنى في خلود الأثر وأثر اللاأثر.

7 - الوهم هو أحزن وأقسى ما يبتلى به المرء في هذه الحياة.

8 - الدموع الحقيقية ليست ذلك السائل الذي ينهمر من العين، بل الروح عندما تصرخ ولا أحد يسمع صرختها والقلب عندما يستحيل قطرات..

9 - الذي أو التي تخشي الضياع قد لا تصل إلى لحظة العثور.

10 - القلب الذي لا يجيد الإصغاء هو مثل القلب الذي لا يرى.. يفوز بالقشور ويضيع اللب الذي هو بين يديه..

11 - أحيانا، أتساءل وأتعجب للكثير ممن عرفتهم أنهم يبقون أسرى لمن خطفوا منهم براءة عواطفهم وصفاء حبهم وداسوا على وجه كرامة عطائهم ثم يختفون كاللصوص ويهربون كالجبناء.

12 – انتظر رسالتك

13 – تصوري أنني لا أعرف ذلك الصوت الذي داهمني وراح يتدفق كالشبح هوس "هوس"..

14 – حبي لك، هو من تجليات الخفاء..

أحبك...

16 سبتمبر..

عزيزتي..

يا من منحتها كل عمقي.. والشفافية كلها.. يا من منحتها كل وهج لحظات وجداني.. يا من منحتها كل أناي.. يا من كنت أذنها الرهيفة يا من كنت وعاء كآبتها وانكساراتها الرهيبة وهي في شرنقة ألمها المتوحد. يا من كنت ماء لظاها.. يا من كنتها في كل حالاتها دون أن تكون أمامي حقيقة.. يا من كنت مسكن أشباحها أيرضيك أن يكون الجرح هديتك في لحظة احتياج مرعبة إليك؟!

أحبك

25 أوت

عزيزتي..

هذا الصخب التافه يحاصرني، يغزو عزلتي التي أريد أن أعيشها في صفاء وسكينة، يختطف مني اللحظات

الحميمة التي أريد استرجاعها وإعادة رسمها وتشكيلها لأنني أعتقد أنها السعادة الحقيقية، المتعة العميقة التي لا تشوبها أدران المصلحة والأنانية ولا يعكرها التشبث بالقشور الزائفة التي تغري كل أصحاب النظر المسطح والضيق للحياة. إنني حزين وأتألم، أعيش ألمي وحدي في صمت وفي ذات الوقت أقاوم كل هذا الركام من التفاهات، لا أحد يفهمك، لا أحد يبذل مقدار ذرة للتسرب إلى روحك المدمدم، الصارخ الذي يرفض أن يكون سجين سلطة الظاهر وسلطة القشور.. اكتب إليك وأنا أتصبب عرقا.. صوت مغنية الراي الشيخة الريميتي يندلق إلي من وراء النافذة في هذه الساعة المسائية اللاهبة.. كنت أتمنى أن أواصل الكتابة عن كل تلك اللحظات التي عشتها منذ أن وصلت إلى هنا.. كنت أريد اعادة تشكيلها على الورق، لكن حصار الوقت، حصار المشاغل التافهة تسلط علي كالسيف. حملت طيلة أيام عزلتي الداخلية هذه اللحظات النابضة في أعماقي، تدفقت الصور المرتبطة بالمكان والزمان العميق المتوغل في طفولتي كالموج دفعة واحدة.. ومع ذلك فإنني سأكتبها في الأيام المقبلة.. سلطة التفاهة تخرب الروح.. سلطة التفاهة تعمي بصيرة القلب.. خلف هذه الكلمات المقتضبة، صرخة مدوية أريد أن أطلقها، لا أحد قادر على أن يسمعها، فقط القلب الذي يرتعش

القلب الذي ينبض بايقاع الحياة الحقيقية، القلب المتقد بنور ونيران الحدس القادر وحده أن يسمع، أن ينتشي بثمالة التواصل.. أحبك...

9 سبتمبر

عزيزتي..

تشير الساعة الآن إلى منتصف الليل.. رجعت لتوي من مطعم فاخر، ذهبت إلى هذا المكان بحثا عن الراحة والنسيان، محاولة نسيان الكآبة التي سيطرت علي طيلة هذا اليوم.. كانت كآبتي اليوم عميقة، عميقة جدا.. كانت أسبابها متعددة ومتنوعة، خفية وظاهرة روحية ومادية.. في خضم كآبتي استذكرتك، استرجعتك بكل روحك البهية وعفويتك حتى في لحظاتها الجارحة.. كنت في حاجة إلى صوتك، إلى صفائك، إلى براءتك التي تبهجني.. لكن كنت بعيدة ونائية جدا عني وعن عالمي الخاص.. ولكم كنت سعيدا باللحظات التي حدثتيني بشكل متقطع الأنفاس عن نثرات منها.. كنت سعيدة، في غاية الغبطة بذلك الشيء الذي تحقق فيك.. كنت مستسلمة لشعور طاغ كان ينتابك.. لا تعرفين بالضبط كنهه، لكن كان يلبي رغبة عميقة في أعماقك.. وأنت تتحدثين إلي كنت سعيدة بذلك الانتصار بذلك الوهج الذي كان متقدا فيك، بتلك الانتصارات التي لا تكشف عن وجهها.. انتصارات

لا تجدين الكلمات لوصفها.. لأنها انتصارات كانت تنتقم لك من الانكسارات ومن كل الأحزان التي تؤلمك وتعذبك لأنك منحت أعمق ما كان فيك وأعنف ما كان يثور في أعماقك من شراهات لشخص أو أشخاص أخبرتيني عنهم في لحظات أساك من خلال إشارات خفية كأنك كنت توجهينها إلى نفسك أنهم خيبوا آمالك، منحتيهم الحب بكل فورانه، بكل وهجه، بكل لظاه، بكل قوته وعنفوانه لكنهم أو لكنه منحك الخيبة والألم العميق.. مرة قلت لي أنك تتأفين من الأشخاص الذين يتخلون عن من يمنحهم روح الروح، وشعلة الحب متحججين أنهم يقومون بذلك في سبيل مصلحة الحبيب المعذب. ربما أكون مخطئا في فهمي.. لكن كما تعلمين يا عزيزتي أنني أثق في شفافية الإشارات وفي قوة الحدس.. لحظتها رأيت الألم مرعبا يطل من عينيك، من نظراتك وكأنه يريد أن يقول لي أنك منحت من وجدانك ومن فيض حبك الذي أعرفه عندما يكون هادرا وفياضا ومجلجلا كل شيء لشخص لم يقدر العطاء والعنف العميق حق قدره.. كنت تقولين، شوف، أحيانا أتألم لكن أشعر بالسعادة بذلك الألم، أي أشعر بالسعادة تجاه كل ذلك الايذاء الذي أثاره ويثيره في أعماقي ذلك الشخص الذي أحببته، لكنه تخلى عني ولم يثمن حبي وعطائي، ومع كل ذلك فأنا أشعر بالأسى

تجاهه.. ومع ذلك سأكون مضطرة لتجاوز الحالة الكئيبة التي فجرها في.. ومع ذلك سأسعى إلى الحد الذي أشعر أنه يكون مستغنيا عن استجدائي.. عن حبي له.. كنت أكون مخطئا في قراءتي لألمك، لكن هذا هو حدسي، هذا هو إحساسي لك وبألمك.. وهذا الإحساس العميق بألمك هو الذي جعلني أخشى عليك.. أخاف عليك.. أحبك أحب عمقك، عطاءك، عفويتك.. مزاجك المتقلب الذي يشبه مزاجي.. أنت بهذه التجربة التي عشت لحظاتها القوية معك، بالرغم أنك لم تفصحي عنها بالكلمات، لكن بالأحاسيس، بالنظرات، بالسلوكات الملتوية، بعباراتك.. المتخفية وراء الصمت أحيانا والكلمات أحيانا أخرى... وراء الضحكات والسذاجة التي تعرفين كيف تنسجينها عبر براءتك التي لا تستطيع إخفاء نضجك الخفي المتصاعد، لم أملك إلا أن أحبك أكثر، لأنك أصبحت جزء من عالمي الخفي، وأنا أصبحت جزءا من عالمك المستتر... أصبحت صداك وأصبحت صداي.. أصبحنا وجهتين لعملة غريبة وعجيبة.. لحظات ينتابني شعور قوي بامتلاكك، امتلاك صفائك امتلاك كل ما يتوهج فيك وأفشل في التعبير عنه وايصاله لك بكل النشيد الفياض بك في أعماقي.. وأشعر بالحزن عندما أحس بجدار خفي أحيانا يقف أو يخول دون ذلك.. لكن هذه الرغبة في امتلاكك هي أبعد

عن الأنانية، بل بالعكس هي التواصل الكلي والجذري معك.. التواصل العميق مع عمقك.. هل هذا هو الحب؟! أحبك..

19 سبتمبر..

عزيزتي، بؤبؤ العين..

عندما قرأت رسالتك الأخيرة تألمت، غمرني حزن رهيب، سكنتني كآبة عميقة، تملكني الشجى.. أجل عزيزتي، تألمت لألمك الذي أفقدك الكلمات الحقيقية للتعبير عنه، شعرت بك تصرخين، لكن صراخك كان يفتقد إلى قوة الصراخ، وكان ألمك أكبر من كل الكلمات التي نقشتينها على ذلك البياض.. كان ألمك محاصرا، لأنك كنت تكتبين وأنت تفتقدين إلى الحرية الحقيقية للتعبير عن ألمك.

عزيزتي.. العلاقة التي لا تستطيع التعبير عن نفسها، عن انطلاقاتها، عن تدفقها عن حرارة روحها، عن شفافيتها تبقى دائما مهددة بالاغتصاب. الاغتصاب؟ هو ثقافة قبل أن يكون سلوكا وفعلا، هو نظرة ترسب في أعماق هذا المجتمع الذكوري، هذا المجتمع الهش الذي نقبل في غالب الأحيان أن نكون عبيده.. أن نكون صوته وصداه.. الاغتصاب هو نتيجة كل هذا التواطؤ الذي يشارك فيه الذكر والأنثى.. أيضا يشارك فيه رجل الدين، الأب،

الإخوة، الجيران، المتعلمون وكل مروجي الأساطير المزيفة عن شرف المرأة، هو صمتنا المخزي عن كل الأشياء التي نتركها تنخرنا من الداخل..

عزيزتي.. الدين أيضا مسؤول عن انتاج ثقافة الإغتصاب، لأنه يغرس فينا ثقافة الخوف، ثقافة العقاب، ثقافة الخضوع وثقافة الثواب.. الدين لا يفجر فينا ثقافة الحرية، بل يرسخ فينا ثقافة العبودية له ولأولياء الأمر.. هنا تكمن المأساة.. ومن هنا شعر المتصوفة الحقيقيون بخطورة الفهم الشرعي أي الظاهري للدين، لذا اختطوا طريقا آخر، طريقا مختلفا في فهم الدين، وعندئذ بدلوا النظرة السائدة لعلاقة البشر مع الله.. بدلوها، نقلوها من علاقة خوف وخضوع إلى علاقة محبة، أي علاقة حرية لا نعبد الله فقط للدخول إلى الجنة وتجنب العذاب.. بل نعبد الله للتعبير عن الشكر بنعمة الوجود ونعمة العيش.. لقد أعادوا تشكيل الحياة ومنحوها المعنى الحي، المعنى الخلاق. كل مأساتنا تكمن في غياب أو انعدام المعنى.. والاغتصاب يتحقق ويسود كثقافة وسلوك عندما يتجرد الفرد والوجود من المعنى.. ما قيمة الحياة إذا كانت مجردة من المعنى؟ ما قيمة الحب إذا كان عاريا من المعنى؟ ما قيمة الأنثى إذا كانت بلا معنى؟ كل الوجود يكمن في المعنى.. المعنى هو ممارسة، هو ارتقاء بالحس، بالذوق،

بالشعور من المراتب الدنيا إلى المراتب الأشد ارتقاء ورقيا.. حتى علاقاتنا العاطفية والجنسية تكون مجرد خواء، مجرد نزول إلى الأسفل إذا ما افتقرت إلى المعنى.. القبلة؟ هل فكرت يوما في القبلة؟! قد تكون ميتة عندما تكون روتينا، عندما تكون عادة، عندما تكون مجرد آلية جنسية، تكون القبلة مرادفا للموت أي للعقم عندما تفتقد إلى الحرارة الروحية أي إلى المعنى.. أحيانا تقول القبلة كل شيء، تقول الحنان بفصاحة لا نظيرة لها عندما تطبع على جبين المحبوب، ولا يهم من يكون هذا المحبوب.. ابن؟! صديقة؟ حبيبة؟ زوجة؟ أم؟ أخت؟ حضور المعنى هو الذي يحيي الأشياء من مواتها، والسلوكات من خمولها، والتضحيات من روعنتها، هو الذي ينقذ الروح من سلطة الخواء، والجسد من وحشية الاغتصاب. المغتصب، هو هذا الطراز من المخلوقات الذي لا يعرف أن للقبلة معنى، وأن للحياة معنى، وأن للموت معنى وأن للحب معنى وأن للغضب معنى وأن للرقص معنى وأن للسكر معنى وأن للمغامرة معنى وأن للحزن معنى وأن للكآبة معنى وأن للدموع معنى وأن للمقاومة معنى وأن للصمت معنى. في رسالتك الأخيرة تكتبين، أنك ترددت في الكتابة إلي لأنك كنت تشعرين أن ثمة خواء في اعماقك، أن نبعك الداخلي أصبح جافا، لا أعتقد أن العمق قد يجف فينا، فالعمق

هو في حد ذاته دفق دائم، مستمر وسرمدي، لكن علينا نحن أن نمتلك القدرة على الاستمرار في الحفر في داخلنا، هناك طبقات سميكة علينا أن لا نكل في الوصول إليها وعندئذ ستجدين نبعك المفقود، الوصول إلى الصفاء هو معركة عنيدة ضد ستائر الكدر، الوصول إلى الماء هو سير مجنون عبر فيافي الجفاف، الوصول إلى النور هو اختراق مرير لطبقات الظلام.. إن الضعف الذي تشعرين به في حالات انكسارك هو مؤشر على الكنز الذي فيك، وهو قوتك، أنت قوية بفيض حساسيتك الغنية، وهذه القوة التي لم تمت لكنها لازالت نائمة فيك، لازالت في حاجة إلى استفزاز حقيقي جميل، أشعر أنك تملكين مفتاح قوتك، لكن تضعينه في مكان لا يعرفه أحد إلا أنت، ثم تحاولين التحايل على نفسك لتقولين لها أنك نسيت أين وضعت المفتاح، مفتاح القوة التي تنام في أعماقك، ثم أتصور أنك تلحين في السؤال، أين هو المفتاح؟! ألم ير أحدكم المفتاح؟! ثم تشعرين في أعماقك بالنقمة وعلى شفتيك الشاحبتين إبتسامة ساخرة مرة ابتسامة خفية، متعالية وأنت تقولين في صمت، أيها الأغبياء، أيها المتخلفون، المفتاح هاهنا، لكن لن أمد يدي إلى المفتاح. وأنا أقول لك بكل الحب الذي أحمل لك دعي يدك تمتد إلى المفتاح.. ولا تدعي المرضى بداء الإغتصاب تتطاول نظراتهم، وأيديهم القذرة،

الجرباء إلى المفتاح. أتمنى أن تكون هذه الرسالة دعوة حميمة لك لرفع الستائر عن كل الزوايا التي فيك لكنك لا تريدين الولوج إليها.. داخلك يا عزيزتي مليء بالغرف المظلمة فعليك بإنارة جسدك ليتحول مصباح يبدد ظلام الغرف، وعندئذ ستلقاك، ستكتشفين ذاتك التي أرى.. لا تتركين ذاتك تذبل، لا ترمي بها فريسة لوحش اسمه الاغتصاب، دعيها تينع، دعيها تزهر وتنير كل العتمات الكامنة والممتدة في جوانب ذاتك..

كم أحبك..

25 سبتمبر

عزيزتي..

ما معنى أن يتصالح المرء مع ذاته؟ عندما طرحت علي السؤال، كنت في غاية الألم وغاية الكآبة، بل شعرت بالألم، ألمي الداخلي يطل من عينيك، من نظراتك التي كانت كماء البحر في هدوئه على مستوى الظاهر، أما على مستوى الباطن فلقد كان متلاطما تتزاحم في احشائه تيارات صاخبة لكنها غير مرئية، التصالح مع الذات قد أراه نوعا من المعاناة، ومن الحرب الداخلية الهوجاء عندما يكون القلب يقظا والروح معذبة.. ماهي الذات أولا؟ انها تولد مثل بؤرة نيرة في متاهات من الغفلة والظلام، تنمو

مرحة لكن سرعان ما يتحول مرحها يوما فيوما إلى جرح، إلى قوقعة نسيجها الكلمات المنمطة والقوالب الجاهزة المزيفة وأعمدة من المحظورات والممنوعات، ونسيج خفي وكثيف من ذلك المسمى في لغة القرآن بالنفاق.. الذات تنتحر، تذبل، تذوى عندما تشرب من كأس اللاعفاف واللاصدق واللاعمق وعندئذ تتحول إلى لاذات أو جثة ذات، تتغذى ويتغذى منها الدود.. وكل مقاومة لانقاذ الذات من اللاذات لا يمكن أن تتم إلا عبر الألم وقد يكون هذا الألم مثلما تقولين مصدر السعادة وهذه السعادة لن تكون إلا سعادة كئيبة أو كآبة سعيدة.. وهنا وفي مثل هذه الحال يكتشف المرء نفسه وحيدا، مختلفا، لا يشبه الآخرين، متميزا، متفردا، يعجز الآخرون أو العالم الخارجي على فهمه وتفهم أحاسيسه، أفكاره، سلوكاته، إنه يتحول إلى مسيح وصليب في نفس الوقت، إنه يتحول إلى ذات شريدة تبحث عن ذاتها في عالم مفخخ بالبذاءات المتسترة بقشور الأخلاق الفاضلة ذات الجوهر المزيف وبأقنعة لماعة لقيم عامرة بالزيف والخواء، إنه يتحول إلى سمو أعزل في زمن أو محيط تحكمه التفاهة وتصبح هذه التفاهة سلطة حقيقية تنفذ إلى العقول والنفوس وتسكن مبنى الكلمات وروح المعاني وتتجلى في المظاهر والأزياء.. المصالحة مع الذات هو أن نكون ذاتنا، أن نكون نحن في إحساسنا

لحظة تدفقها، في كلماتنا لحظة انبثاقها، في كامل حالات جسدنا لحظة رغبته في النطق، في التعبير، في الانطلاق، في التجلي وفي التفتق والانفتاح.. وليس هذا بالأمر الهين، فنقطة النور تسيح، وتكاد تسيح وحيدة في ظل هذا المحيط الكبير من ردا ءة الأفكار والأحاسيس وفي ظل هذا المحيط الكبير العامر بظلام الجهالات ودجى التفاهات.

عزيزتي..

كنت أتمنى أن أواصل معك حديثنا في ذلك المسا ء عن ما يثار من زوابع عن نهاية التاريخ، ونهاية الإيديولوجيا ونهاية الراديكاليات.. أنا لا أعتقد بذلك.. وكنت أتمنى أن نواصل حديثنا عن تلك الوجوه التي جعلت من الماركسية الثورية سلاحا ضد التفاهة والظلام، وضد كل أشكال العبوديات من أجل أن يتحقق الإنسان في أبهى حالاته، كنت أتمنى أن أحدثك عن تلك المرأة العظيمة التي تمثلت ماركس وشقت طريقها عبر تجديد الماركسية الثورية عن طريق ذلك الوهج الفكري الذي تحدث به كبار الماركسيين مثل فلاديمير لينين الذي جادلت أفكاره حول الاستعمار والإمبريالية واختلفت معه حول مضمون الثورة الاشتراكية ورأس المال.. وخلفت كتبا رائعة مثل "ثورة أم إصلاح؟" و"تراكم رأس المال"، هذه المرأة أحببتها، لأنها لم تتعامل مع الفكر من برج عاجي، بل ناضلت وكافحت

وانخرطت في الفعل السياسي، وكانت نهايتها مأساوية حيث قتلت إلى جانب صديقها الشيوعي ليبنخت ورمي بجثتيهما في مجاري المياه القذرة!! كانت ذات شخصية قوية وعنيدة.. تحدت العالم الذكوري.. وتحدت كل الأنماط الجاهزة، وجعلت من جسدها بوابة إلى اكتشاف، وإعادة اكتشاف روحها التي كانت حطبا لثورة فكرية ونظرية في سبيل انسانية ذات لحظات سرمدية جميلة تبعث فينا الأمل والقوة والرغبة في الاستمرار على قيد الحياة وفي مقاومة كل الذين يريدون أن يجعلوا منا بدءا من لحظة البدء مجرد عبيد، عبيد للموتى وللعوالم المحنطة.. هذه المرأة الجميلة، العظيمة كان اسمها روزا لوكسمبورغ، موتها كان تحديا للموت.. تحديا لسلطة التفاهة..

عزيزتي..

لكم تمنيت لو حدثتك في هذه الرسالة عن ذلك الشيوعي المثالي الذي جعل من الثقافة قضيته الأساسية ومن مسألة المثقفين رهانه الكبير، وهو الآخر انتهى مريضا خلف زنزانة الفاشيين.. حيث كتب في قبوها وتحت جنح ظلامها أهم تأملاته ومحاوراته مع الذات مع التاريخ، الدين والسياسة.. اسمه انطونيو غرامشي.. وأذكر أنني امتلأت حتى الرأس بالكآبة والشجن يوم قرأت سيرته وموتته المكروبة التي تمت على فراش المرض وهو في أقصى حالات

العزلة.. ولكم تمنيت أيضا لو حدثتك عن ليون تروتسكي الذي كان الروح الطاهرة والنبيلة لثورة هزت العالم، وكانت نهايته الترايجدية على يد أحد مقربيه وأتباعه، بعد أن اشترى ضميره أحد وجوه العصر المظلمة المدعو جوزيف ستالين! ربما أعود إلى ذلك في رسائل مقبلة.. ربما.. ان حزنك الخفي، حزنك المبلل بمرح شفاف والذي يتسلل دونما إذن إلى سراديب روحي هو الذي جعلني أحاول ملامسة تساؤل ما معنى أن يتصالح المرء مع ذاته.. إن الذات التي تضيع يصعب التصالح معها لأنها ليست في حوزتنا، لأننا تنازلنا وقبلنا ضياعها ورحيلها إلى حيث المستنقع المبارك من قبل الآخرين! إن هذه الذات لا يكمن ضياعها في تيهها أو شرودها، بل يكمن في قبولها أن تتلوث، في أن تكون نسخة رديئة لذوات أخرى.. ان تقبل باغتيال تفردها وتميزها وكينونتها.. ذلك المساء وأنا أتحدث إليك، كنت أنظر إلى وجهك الموشم بملامح السكينة الرهيبة فكان بالنسبة إليّ كتابا مفتوحا على مجاهل تفرحني وتحزنني في الوقت ذاته، لأن من أعماق طياته كنت أشعر بنداء يأتي من بعيد.. يمتد إلي كالموج الهادئ الإخضرار وأمتد إليه.. إلى أي سماء نرتفع..؟! لا أدري.. لكن أدري شيئا واحدا.. أن ذلك النداء يملؤني عنادا وقوة في مقاومة كل العالم، كل السلط، كل التفاهات المستترة، كل المحظورات

الخفية والمعلنة، لأن في عمق ذلك النداء لهبا مقدسا يطهرنا جميعا.. يحققنا جميعا ضد الموت، ضد العدم، ضد النسيان، ضد الاضمحلال، ضد أن تكون نسخة ميتة لعالم مهترىء، ضد أن لا أكون أنا وأن لا تكوني أنت، أن لا نكون نحن..

أحبك.

بدون تاريخ..

عزيزتي..

أقف أمام بياض الورق، أرغب في الكتابة إليك.. في استحضارك في استحضار روحك لكن الكلمات تخونني.. تستولي على حالة ميتافيزيقية.. حالة من الانكماش حول عالم الصمت والتأمل الصامت أريد أن أتدفق أمامك.. أفيض بأشياء كثيرة وغزيرة.. لكن الأشياء تريد الاحتفاظ بنفسها وبأسرارها وبتلك الحالة الغائمة التي تتسربل في طياتها، هي تتهرب حتى لا تحتويها الكلمات.. ما أفظع أن تحوينا وتحتوي حكاياتنا وحياة حكاياتنا كلمات.. ومع ذلك يناديني هذا البياض.. يجرني جرا؟! مخاطبتك في حضرة جلال غيابك الشفاف الحاضر.. أو في حضرة حضورك الذي يسكنني، يسري في عروقي وفي مجاري ذاكرتي التي أريد محاصرتها أو تعرية جزء من مناطقها..

مرة سألتينني على الهاتف، هل ثمة رسائل إلي..؟ قلت لك أن رسائل عدة كتبتها إليك ليست على جسد بياض الورق.. عشت نفس الحالة، كتبت إلي رسائل ظلت حبيسة لحظاتك، كم هي جميلة تلك الحالة لكن في ذات الوقت كم هي محزنة وحزينة.. لست أدري لماذا أعادتني هذه العلاقة العظمى معك إلى لحظات تأمل (لكن تأمل ماذا؟) عميقة، أسعى إلى ممارستها عبر أكثرمن شكل، أعادتني إلى إعادة قراءة أعمق ما قرأت.. أعادتني إلى كاتب مليء بالرموز والظلمات، مليء بالصمت ومسكون بالنور الباطني، اسمه ارنستو ساباتو.. قرأت له ثلاث روايات..وهذا كل ما كتبه عبر عمره المديد.. أعتقد أنه مات منذ وقت غير طويل.. روايته الأولى لا أتذكر الشيء الكثير من تفاصيلها، عنوانها "النفق" روايته الثانية، عمل مدهش وجبار.. "أبطال وقبور" ذلك هو عنوانها.. هي قضية حب مجنون.. مليء بالألغاز ومدثر بالعمى.. محاصر بالأشباح، ينتقل فيها ساباتو وشخصياته من عالم النور إلى عالم الظلمات.. عالم العمى.. يتحول العمى في هذه الرواية إلى صراع رهيب بين الخير والشر، بين الحب واللاحب بين التنكر والتضحية، الرواية تقودنا إلى أنفسنا، إلى النفس الغامضة الجريحة، المتمزقة، الباحثة عن شرودها في شرودها.. تتحول الكتابة الروائية في "أبطال وقبور" إلى محاكمة لكل الأطر الجاهزة والكلمات

المنمطة، وإلى ذلك الحب المستهلك وإلى تلك العلاقات التي تنزع نحو تأطير الأشياء، الدلالات والعلامات... وتتحول كذلك إلى تأمل مفتوح على التأمل.. مفتوح على افق المطلق وعلى عالم الحرية الغامض والفسيح..

الحرية معركة.. معركة ليست سهلة معركة مؤلمة، قاسية وعنيفة.. معركة لا نقودها بسلام.. لا نقودها باطمئنان، بل نخوضها في قلب الألم والحزن والكآبة الجذلانة.. الحرية معركة شرسة ضد أنفسنا أولا، ضد مخاوفنا، ضد هشاشتنا.. ضد الثقافة التي رضعناها بالرغم من أنفنا.. معركة ضد الحماة المزيفين للفضيلة والأخلاق وكل العلاقات.. التي يضفي عليها ثوب القداسة.. معركة طويلة النفس ضد كل الأدران المتعلقة بذواتنا، معركة ضد كل العبوديات التي يسعى المجتمع إلى وضعها كسلاسل على أرواحنا وقلوبنا وتفكيراتنا وعفوياتنا (أتعرفين لماذا أصبحت أحبك بكل هذا العمق والفيض والشفافية؟ لأنك كنت هذا المهماز الذي استفز في هذا التجدد في تعلقي بصفو الحرية.. كنت هذا الدفق الكئيب الذي غمرني بمقاومة سرية بكل القيود التي يفرضها علينا هذا الشكل المرعب والمزيف المتحكم في الحياة النزاعة لسلطة القشور.

أشعر بالسعادة لأنني اكتشفت فيك ماهو جوهري في الحياة، وأشعر بالسعادة لأنك منحتينني هذه القدرة على

محبة الروح مجددا وعلى الإيمان بالارتقاء إلى مدارج الصدق غير الملوث.. وأشعر بالحزن لأنني أدري أن القدر متواطئ مع سلطة القشور، وكلاهما يقفان أمام التفتح الحر والشفاف لتلك العلاقة التي تسمينها مقدسة.. أشعر بالحزن الغامر لأنني أجد نفسي ألجأ إلى تلك التكتيكات التي أنفر منها للحفاظ على ذلك الصفاء الذي يجمعنا.
أحبك..

يمتد.. وكأنه بحر من الكلمات هذا الصخب من أين يأتي؟ صخب الأمكنة، صخب الوجوه، صخب الكلمات.. صخب الأصوات، صخب الألوان، صخب الروائح، صخب العتمات، صخب الأنفاق.. من أين يأتي..؟! كان يجلس أمام نفسه.. تتحول الحجرة إلى ذاكرة مليئة بالمتاهات.. وكان صوت هنا، وهناك.. وما وراء هنا وهناك.. كأنه يوحي له أن يكتب.. وكان يكتب وكأنه يهذي.. وكأن كتابته استحالت هذيانا.. وكأن عالمه هذيان.. وكان يرى العالم هذيان.. الكتابة هذيان.. والهذيان يتدفق، يكتسح النظر، يكتسح السمع، يكتسح الرأس، يكتسح ظلام سرداب الروح.. يكتسح البياض.. وكان يرى الطفولة والشمس والدود.. وكان يرى المكتبات تتراقص.. الكتب تتراقص.. الكلمات تتراقص.. الأحرف تتراقص.. رأى طفولته كوما من الكلمات.. كلمات في أصوات .. أصوات في كلمات.. وكان السؤال دائما في حالة التفرقع.. من أين يأتي هذا الصخب المهووس الرخو المتدفق في رأسي

من أين؟ مرتطم أيما ارتطام ومتلاطم هذا الصخب الرخو في الرأس.. في إلخ... إلخ... إلخ... صخب أثار فيه ما قرأ منذ أن كان يطأ مكتبة جده العتيقة.. من ذلك الكاتب الذي انبهر بغرابة كلماته.. لا يتذكر.. لا أتذكر.. لكن الكلمات أتذكرها.. (هل كانت منشأ الهوس الذي استبد بي، وسكن أعماقي كعفريت أهوج؟!).. الكلمات تقودني إلى سرير الذاكرة الطفولية الضاجة بالصخب.. تقودني إلى منام رأيت النفس في:

ويل

واد في جهنم أو بئر أو باب لها أو في الموبق

واد فيها أو في الفلق

جهنم أوجب فيها أو في بولَس

سجن فيها أو في سجّين

واد فيها أو في آثام

واد فيها أو في الحطمة

باب لها

أو في غيّ

واد فيها أو نهر أو في الصمود

جبل فيها ، وحوله

وفي المنام رأيت النفس... رأيتني مع : لُبينى

اسم بنت إبليس أو زلنبور أحد أولاد إبليس الخمسة أو مِسْوَط

ولد لإبليس يغري على الغضب أو السرحوب

شيطان أعمى يسكن البحر أو خنزير شيطان أو نُهم شيطان أو الولهان شيطان يغري بكثرة صب الماء في الوضوء أو القِلُّوط من أولاد الجن...

ثم رأيت النفس، رأيتني في المنام تائها في : عبقر مكان يكثر فيه الجن.. مع الشيطيان

قبيلة من الجن مع شِنقناق رئيس للجن مع أحقب اسم جني من الذين استمعوا القرآن.. ثم وجها لوجه مع الكعنكع الغول والخيدع الغول الخداعة..

وعندئذ صرخت.. نظرت حولي.. كنت أعرف.. اكتشفتني محاصرا بوجه ماكدرة.. بوجه احميدة ووجهها.. وخلف الوجوه والصخب والظلام كان الهوس يمتد إلى ما لانهاية.. يمتدو كأنه بحر من الكلمات المتلاطمة...

انتهى